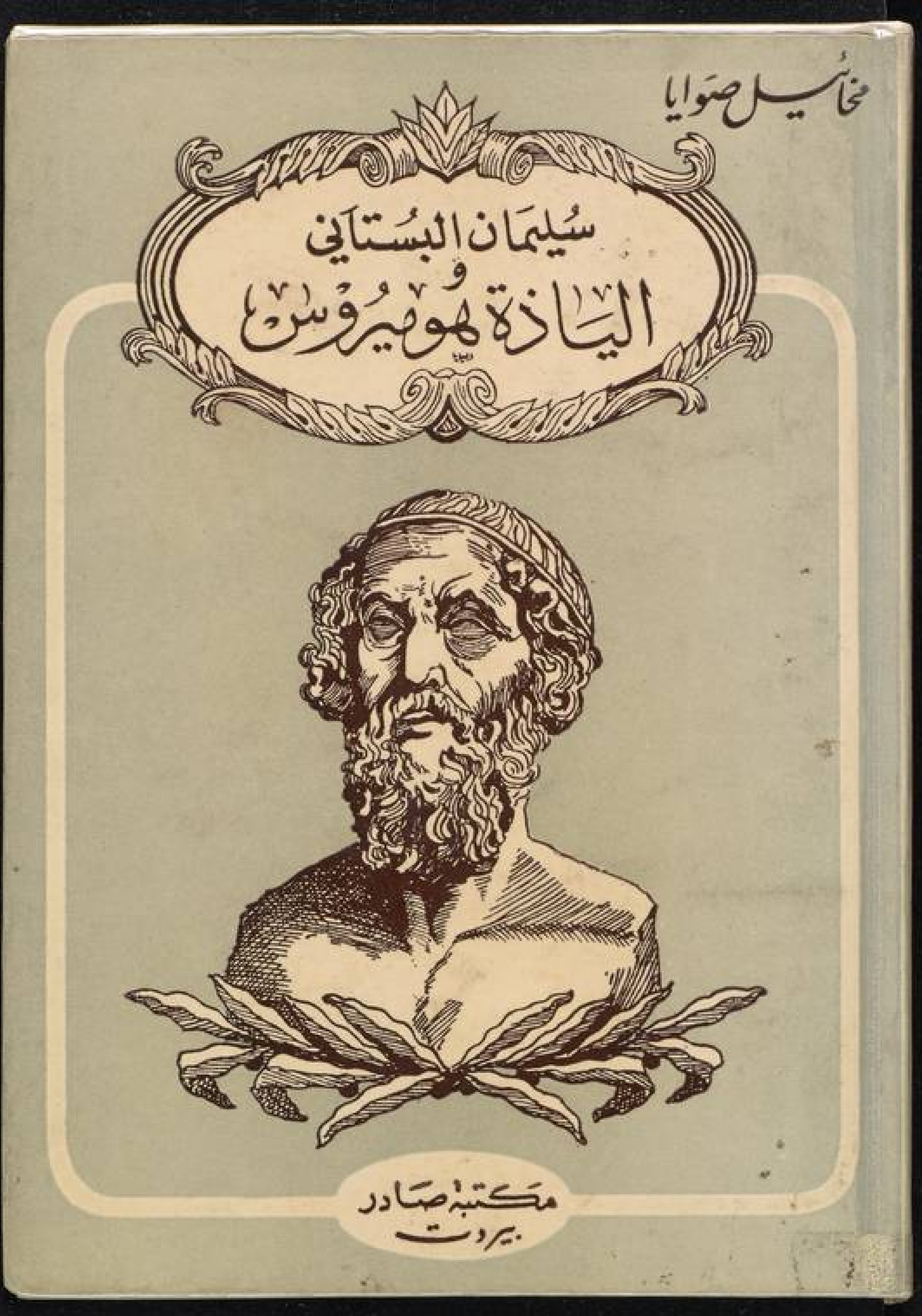
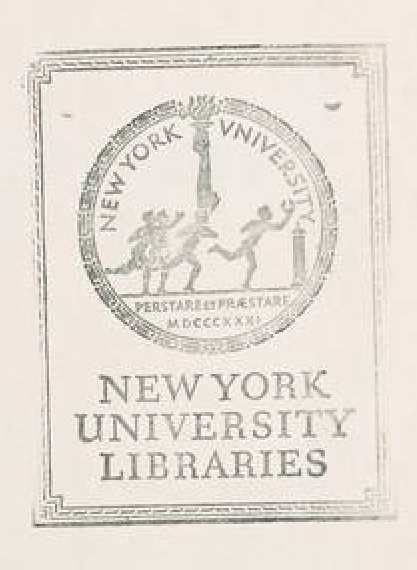
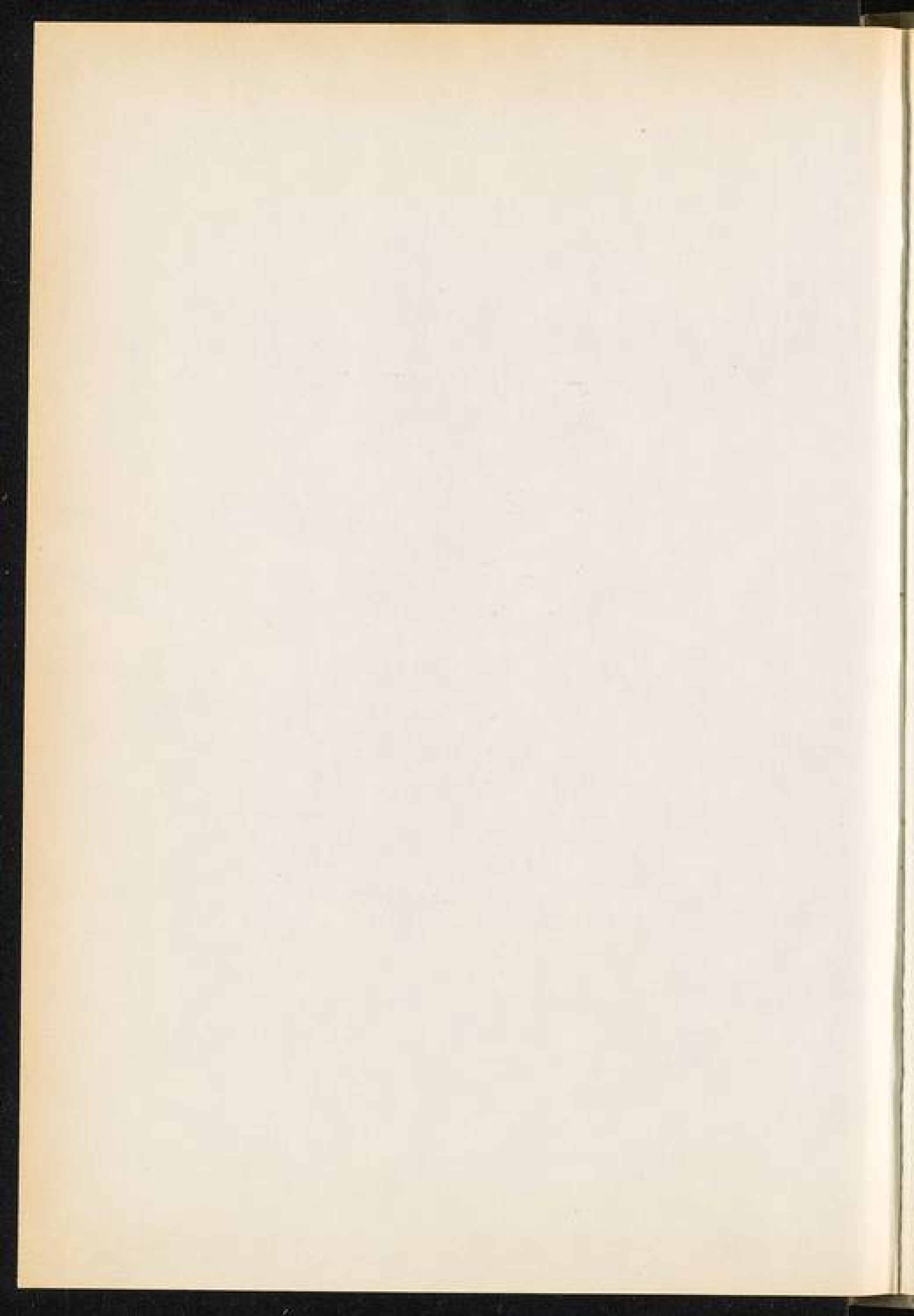

ميخائيل صوايا
سليمان البستاني
و
الياذة هوميروس
مكتبة صادر
بيروت


BOBST LIBRARY
3 1142 02907 8204


NEW YORK VNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES





ميخائيل صوايا






مكتبة صادر
بيروت

# سليمان البستاني

## مولده — نشأته — عصره

ما بين ملمس من البحر ، ومتكأ من الجبل ، في مشرف مطل على طريق الساحل ، بين السعديات والدامور ، تجثم في ارتفاع أهيف ، وفي شكل هرم تكسرت زواياه — رابية أنوف ، يوشح اعطافها اخضرار دائم من سنديان ، وخروب ، ودفران ، تحمل على مناكبها بيوتاً وضيعة البناء ، وتتوج رأسها باحمر قان على بناء شرقي ، لوّحته السمرة ، يشرف باينناس على ما جاوره من بيوت دكناء .

هذه الطائفة من البيوت السمر ، هي بكشتين ، واما البناء المتوج بالاحمر ، فهو تجديد للبيت الذي رأى فيه النور اديبنا الكبير سليمان البستاني .

ولد عام ١٨٥٦ بكراً لأبيه خطار سلوم البستاني ، وامه مريم بنت الخوري جريس البستاني . وما كاد يجتاز عهد الطفولة ، حتى بدت نجابته وحلا للناس طلاقة محياه ، وقد عزز هذه الصفات الطبيعية فيه تهذيب سام ، وكرم ، وبسالة : ورد طيب من منبعين غاثرين بالفضيلة والنبل .

وهكذا كان سليمان موضوع شغف لعمه المطران عبد الله . فأخذ يلقنه العربية والسريانية ، فكان شبيهاً بالارض الطيبة التي لا تشبع ريّاً ،

يوسف العلم في نهم .

واستهوته المطالعة في هلال الحداثة، وقد اولع بكتاب الف ليلة وليلة.

وفيما كان يطالع يوماً احدى ليالي هذا الكتاب ، أخذ منه العجب خبر حكيم يعرف الكتب العديدة من : يونانيّة ، وفارسيّة ، وعربية ، وسريانية . فشاقه تحصيل اللغات الكثيرة . ولم يلبث ان دخل المدرسة الوطنية في بيروت ، للمعلم بطرس البستاني : من واضعي حجر الزاوية للنهضة الحية بعد عصور الانحطاط .

فاتمّ فيها دراسته بالعربية ، والسريانية ، وزاد عليهما تحصيلاً فرديّاً اتقان الانكليزية ، والفرنسية . وكان من جملة معلميه الشيخان يوسف الاسير ، وناصيف اليازجي .

ولا بد للجوهر اذا ما مسه احتكاك ، من ان تظهر حقيقته ، ويتجلى لمعانه ، وهكذا بدت في سليمان ، منذ عهد الفتوة، صفات نابغة وحظ غير يسير من حنكة ودراية ،وحسن سياسة وادارة . فاستمال اليه اساتذته ، واجتذب قلوب رفاقه الطلاب .

ولندعه الآن في حفلة امتحان مدرسي ، يتلو في حضرة عمه صاحب المدرسة، ولفيف من اساتذته ، نشيداً ونصف نشيد من ملحمة الفردوس المفقود لملتن ، الشاعر الانكليزي ، مع قسم وافر من سيدة البحار لولتر سكوت ، الروائي الانكليزي أيضاً . وينشد ما ينيف على مئتي بيت من الفية ابن مالك ، دون أدنى توقف ، معترفين بقوة ذاكرته ، وعظيم اجتهاده ، لنلمّ الماماً قريباً بعصره من ناحيتيه : السياسية ، والادبية ، علنا نتمكن من إنصاف جهوده في اعداد نفسه ، بعض الانصاف .

## الناحية السياسية

ولد المترجم في عهد ساده الشقاق ، والتفرقة بين جميع عناصر سكان لبنان : من دروز وموارنة ، ومسلمين ونصارى ، وارثوذكس ولاتين، وبين عامة الشعب ورجال الاقطاع .

الدولة التركية ترسل ولاتها لبذر التفرقة ، قضاءً على كل ما يمت الى استقلال هذا البلد . ضاربة بذلك على وتر الطائفية . مبتكرة الوسائل والنظم التي تثمر العداوة بين الاهلين . فرنسا تعمل لحماية النصارى ، لا سيا الموارنة ، وانكلترا لمساعدة الدروز ، وروسيا تستثمر حماية الارثوذكس لمطمع لها في الدولة العثمانية .

اشتباك بين احكامٍ ورغائب .. فوضى في الداخل وحرب في الخارج : بين روسيا من جانب وتركيا من الجانب الآخر ، يشد ازرها الانكليز والفرنسيس وغيرهم من شعوب اوروبا . تلك حرب القرم التي انتهت باستسلام الروس سنة ١٨٥٦ : مولد المترجم .

وما جاز سليمان الرابعة من عمره ، حتى قامت فتنة ١٨٦٠ بين الدروز والنصارى ، وما جرّت إثرها من حوادث مؤلمة ، كانت نهايتها منح لبنان استقلالاً داخلياً ، تاماً ، ضمنته الدول الكبرى تحت نظام جديد، عُرف ببروتوكول ١٨٦٤ .

ودخل لبنان بعد ذلك في عهد المتصرفية : الزمن القليل الذي رأى فيه هذا البلد شيئاً من الأمن والرخاء ، رغم بعض الدسائس والفتن .

وحدث في هذه الاثناء نشوب ثورة عرابي باشا في القطر المصري ،

هذه الثورة التي مهدت للانكليز الاستيلاء على وادي النيل . وكان من ذلك فتح باب المهاجرة للبنانيين من تجار ، وصناع ، ومتعلمين . فلقي هؤلاء في القطر الشقيق ثروة واكراماً . وبدأت في ذلك العهد ايضاً الهجرة الى الديار الاميركية .

هذه لمحة عما وافق مولد ادبينا ، ونشأته من حوادث سياسية .

## الناحية الادبية

اما الناحية الادبية ، فقد كانت رغم تأثرها بالسياسة الطامعة ، أوفر حظاً من الناحية السياسية .

فما كاد يكتهل القرن التاسع عشر ، والطباعة آخذة بالانتشار تقدم للفئة المتعلمة الاسفار القديمة ، والمصاحف الدينية ، والتآليف اللغوية : حديثة ذلك العهد في اسلوب عصور الانحطاط — حتى هبت كوكبة من الناهضين تنشىء المدارس الوطنية في بيروت ، والقصبات اللبنانية المعروفة . واذ سهل البروتوكول الجديد سبيل الارساليات الغربية الى لبنان ، وفد المرسلون الاميركيون ، واليسوعيون وغيرهم يؤسسون الكليات والجامعات في بيروت وسواها . فانتشر التعليم والتعلم ، وظهرت ابكار الصحف والمجلات اللبنانية في هذا البلد ، ثم انتقل بعضها الى القطر المصري .

واما المدارس الوطنية ، فان اكثرها كان ينتمي الى مختلف طوائف

البلاد نظير المدرسة البطريركية لطائفة الروم الملكيين، ومـــدرسة الحكمة المارونية ، والكلية الاسلامية في بيروت ، والـكلية الشرقية لرهبانية الشوير في زحلة وغيرها .

لكن مدرسة واحدة كانت وطنية ، علمانية بحتة ، هي المدرسة التي أسسها المعلم بطرس البستاني ، اولى المدارس البيروتية الاهلية .

في هذه المؤسسة الوطنية ، الخالصة ، قضى سليمان ثماني سنوات كدّ متواصل نال في نهايتها شهادة المدرسة بتفوق نادر .

ورغم كون اساتذته من أظهر علماء ذاك العصر ، فقد كان عليه وعلى اترابه بذل الجهد الكثير في التفهم والتحصيل ، لصعوبة الاساليب العلمية ، وندرة الكتب الدانية المنال .

تمثل كم ينال الجهد من طالب ، عليه ان يلقي في امتحان مدرسي ، الوفاً من الابيات الشعرية دون مـا توقف . واوفر الظن ان الاستاذ لم يكلف نفسه سوى تلقينها صحيحة القراءَة واللفظ والاعراب ، دون ما شرح وتحليل . وأكاد اجزم في ذلك ، لان تلقين هذا المقدار العظيم من المحفوظ ، في مثل تلك الحال من ندرة الكتب – لا يفسح وقتاً كافياً للشرح والتحليل ، وما يتبع ذلك من اصول تلقين اللغة والادب .

وليس لي ان اقول شيئاً في شأن سائر العلوم اذ لم اقف على ما يؤيد علماً او رأياً . غير اني ارى في ذلك الاسلوب الشاق مـا ينصف الذكي فيبرزه في الملأ نابهاً نابغاً ، ويظلم سواه ، فيقعده عاجزاً خاملاً .

فكان العلم اذن ، ذلك الشهد الشذي في اعلى قمة شائكة السبيل ، ناتئة الصخور ، يظفر به القوي الجريء فيزداد قوة وشجاعة ، وينتشي

بتلك اللذة الخالدة ، ويقعد عنه من لم يؤته الله غنيّ المواهب .

وهكذا استساغ القليل من طلاب تلك الحقبة، سخي ما كان يُعطى لهم من غذاء علمي بفضل حافظة جبارة ، وذهن مرهف ، لا يعرف الكلل ، ورغبة طامحة الى التحصيل الفردي . فكانوا رجال النبوغ ، حاملين لواء النهضة الادبية المشرقة ، وقادة للفكر في جميع الاقطار العربية : كاليازجيين ، والبساتنة ، وصروف ، وزيدان ، والشميل ، وفرح انطون وغيرهم ممن اشتغلوا في مختلف حقول العلم والادب .

على ان المترجَم قد نال من العلوم واللغات ما لم ينله من اولئك النابهين سواه . فقد تمكن من معرفة خمس عشرة لغة ، منها العربية والسريانية وبعض الانكليزية في المدرسة ، وزاد عليها تحصيلاً فردياً : اتقان الانكليزية ، ودرس الفرنسية ، والالمانية، واليونانية، والايطالية، والاسبانية ، والبلغارية ، والهنغارية ، والبرتغالية ، ولهجات عديدة من لغات الشعوب السلافية ، واللاتينية أم اللغات الغربية . وعرف من اللغات الشرقية عدا ما ذكر العبريّة . ولقد أتقن التركية مثل كبار كتابها وكان يحسن لغة الغجر ( النور ) وحاول ان يجعل منها لغة كتابية .

هذه جولته في ميدان اللسان ، اما فيما يختص بالعلم فقد كان تحصيله ذاتياً محضاً ، فاتقن من العلوم : الرياضيات ، والكيمياء ، والحقوق ، والزراعة ، والتجارة ، وعلم المعادن ، والاجتماع ، وافتنّ في الاختزال ، فألف فيه رسالة هامة . ومعوانه في هذا التحصيل الرائع من مختلف العلوم واللغات ، خلا عزمه ودأبه ومواهبه الطبيعية ، تلك الاسفار التي

قام بها في هذا السبيل ، وما افاد من الخبرة في معاطاته الاعمال المتنوعة فبرهن بالفعل النظرية القائلة : ان الانسان استاذ نفسه . وسنرى في تتبع ما وقفنا عليه من حوادث حياته ، ودرس آثاره، ما يهيب بنا الى إكبار همة وليد نهضة ، كانت لا تزال في دور الثغاء . برز في الملأ اديباً عالمياً ، وفذاً سياسياً ، كان موضوع اعجاب اعاظم الرجال في اوروبا، وفخراً للدولة العثمانية التي خدمها بنادر الاخلاص، واكليل مجد على مفرق لبنان الذي كان له من عقله وقلبه النصيب الاوفر .

## بدء اعماله واسفاره

من البديهي ، ان تعتمد مؤسسة علمية ناشئة على انجب طلابها للقيام ببعض مهام التدريس فيها .

وهكذا ، بادرت المدرسة الوطنية ، فانتدبت سليمان استاذاً في هيئة عمدتها ، فانخرط في سلك التدريس بادئاً رسالته الوطنية ، يحبب لغة البلاد ، وأحوالها ، وعاداتها الى النشء الطالع .

ثم شرع يكتب في الجنان والجنة . اولاهما ، مجلة سياسية علمية ، تاريخية ، ادبية ، كانت تصدر مرة في الشهر في ٣٤ صفحة كبيرة ، اصدرها عمه بطرس البستاني في اول كانون الثاني ١٨٧٠ وجعل شعارها : « حب الوطن من الايمان » ، وهي اول صحيفة عربية حملت شعاراً خاصاً . وقد تبارى في تحرير فصولها نوابغ كتاب القرن التاسع عشر . واما

الجنة ، فهي صحيفة سياسية تجارية ، لم تخلُ من مقالات ادبية . انشأها ايضاً المعلم بطرس البستاني مع ما انشأ من صحف ومجلات . صدر العدد الاول منها في ١١ حزيران ١٨٧٠ مرة في الاسبوع . وبعد وفاة صاحبها وانتقال الامتياز الى ولديه سليم ثم نجيب صدرت مرتين في الاسبوع . ثم حجبت لدواع قاهرة سنة ١٨٨٤ . ولا عجب اذا قلنا : ان يراع سليمان كان انضر يراع في كتابة فصولها .

وما بدأ يتألق نور معارفه واخلاصه ، حتى انتدبته قنصلية الولايات المتحدة ترجماناً لها . فظهرت بوادر حنكته في السياسة الى امانة وسهر ، وتضحية في خدمة مصالح النـــاس . وما زالت صلته بالادب والادباء والدرس والمطالعة على اشدها وثوقاً . فاتجهت الانظار الى هذا النور النامي ، وهكذا انتدبته جمعية زهرة الآداب في بـيروت رئيساً لها لدورتين متواليتين . وهي عهد ذاك ذات نفوذ وشأن، فكان قلبها الخفاق ونبراسها الهادي .

وكان عظيم الشغف باللغة العربية وآدابها ، وتقصي اخبار العرب ، والوقوف على الاماكن التي ورد ذكرها في شعرهم وتاريخهم فأنشأ اول اسفاره وهو دون العشرين .

ولا تخفى تلك المشقات التي كان يتجشمها مسافر ذلك العهد براً . فسبلها مجهولة كؤود . ومطاياها غير ميسورة . ولكن ابن هذا الجبل ابداً طموح ، أمين في تأدية الرسالة التي ينتدب نفسه لها . فمتى كانت البيد والقفار ، لتقف في سبيل ما في نفس اللبناني من نور طامح ؟ وهو الذي علّم الناس من قبل ان وراء كل افق شطاً عليه شعب، ووصل بين

الآفاق والشعوب سواء كان المنبسط الفاصل بحراً طامياً او قفراً موحشاً.

وفي مثل هذا الايمان بالرسالة وطد ابن البستاني العزم على الاسفار، يجوز بيداً دونها بيد. فأمّ العراق. وطاف في جزيرة العرب، واختلط بقبائل البادية. فشهد تراث العباسيين، ووقف على عادات اهل الجزيرة وتقاليد البدو واطوارهم. واستدعي في ذلك الحين الى البصرة من قبل الزعيم قاسم باشا لانشاء مدرسة وجريدة. فلبى الطلب وقام على ادارة المدرسة سنة واحدة ثم تركها لسواه، منصرفاً الى تجارة التمر، غاية الاحتكاك بالبدو ومعرفة جميع شؤونهم.

وشاءت الاقدار ان تخدم امنيته، فعين عضواً في محكمة بغداد التجارية. ثم مديراً لشركة عمان الحديوية العثمانية. وفي الوقت نفسه مديراً لمعمل حديد انشأه مدحت باشا.

وكان هذا الرجل الاصلاحي العظيم قد ولي العراق من قبل السلطان عبد الحميد، بعد ان سعت اليه الصدارة العظمى مرتين متباينتين، تقلب خلالهما في اسمى المناصب واتى الاعمال المجدية، من اخماد الفتن، الى حل الخلافات الدولية، الى رئاسة الوفود في البلاد الاوروبية. حتى اذا اسندت اليه ولاية العراق، شمر هناك عن ساعد العمل المنتج. فوطد بحد السيف السلم بين العراق والعجم.

وعاد الى الاصلاح يجهد في مختلف حقوله. فجعل الفرات ودجلة صالحين للملاحة. وأنشأ بصرى جديدة على شط العرب. ومد الخطوط الحديدية واصلح حياة العمال فاوجد لهم الاعمال الدائمة. وبعث في الزراعة روحاً جديداً بما جلبه من الآلات الحديثة. حتى اذا شاء انشاء معمل

حديد هناك استدعى البستاني ، يوليه امر ادارته . واذ أشيع عنه التبذير بأموال الدولة حكم عليه بالنفي الى الطائف بعد ان تربص له السلطان عبد الحميد طويلاً . وسم هناك في الطعام فادرك . حتى اذا اعيت البغاة الحيلة ، غيل خنقاً في منفاه بالطائف ١٢ رجب ١٣٠١ هجرية .

فباتصال البستاني بهذا الرجل العظيم تسنت له الاستزادة من زيارة البلاد العربية . فعاد يتنقل من العراق ، الى اليمن ، الى نجد ، فحضرموت ، ففيرها ، باحثاً عن جميع الاماكن التي ورد ذكرها في الشعر العربي . فعرف وادي العقيق وسقط اللوى . ووقف في الرقمتين ، فاذا هي بادية تصليه ناراً من حرارة شمسها . لم يفيء بقعة من رمضائها ظل نبات . وهكذا تبين له فداحة التقليد في الغزل الشعري ، وبُعد شعراء تلك الحقبة عن انفسهم .

تسع سنوات قضاها درساً واختباراً ، جامعاً في قلبه خير ما يكتنز الاديب الناقد في تحري الحقيقة المجردة ، مكتشفاً في تلك الاسفار قبيلة عربية جديدة هي قبيلة الصلبة او صليب . كتب عنها بحثاً ضافياً في مقتطف ١٨٨٧ وعليها شرح وافٍ في المجلد الحادي عشر من دائرة المعارف هذا المشروع العظيم الذي انشأه المعلم بطرس البستاني والذي كان له من سليمان جهد سخي في انشاء موضوعاته الشاملة ، الدقيقة التي اصبحت رأس كل مرجع علمي ولغوي . تقع هذه المجموعة في اثني عشر مجلداً ، ترجم قسم منها الى لغات مختلفة وقد حاول سليمان اصدارها في التركية كما سنرى .

ولم يقتصر اديبنا على معرفة شؤون البدو فحسب ، بل انشا عن كل قبيلة من قبائل البادية ابحاثاً طريفة وقام باحصائهم احصاءً عاماً دقيقاً ،

مبتدئاً من بدو سوريا ، فالعراق ، فأطراف الاناضول ، فنجد ، فالحجاز فعمان ، فغيرها . فاذا هم سبعة ملايين نسمة عداً . فادّى بعمله هذا خدمة جلى للتاريخ ، والعلم ، والادب .

والجدير بالذكر ان البستاني كان السابق الى القيام بهذه الاسفار في جميع مناطق الجزيرة العربية ، ومطمحه فيها مجرد اختبار وهوى .

على ان كثيرين بعده ، قاموا بمثل هذه الاسفار في اوقات متقاربة ، واهداف متباينة ، كالريحاني ولورنس ، وجرتو ، وفراستاك واونهايم الالماني وغيرهم . ولكل من هؤلاء في هذه الرحلات الى الجزيرة العربية تآليف .

وكانت عودة سليمان من الجزيرة العربية الى بيروت عام ١٨٨٥ وفي صدره ثراء ندي اخذ يبذله بسخاء في اتمام دائرة المعارف التي استنفدت اعز قواه لتنوع موضوعاتها وعظيم اتقانها .

ثم سافر الى الاستانة في طلب اجازة طبع ترجمة لها في التركية ، فكان له من المماطلة في الحصول على غـــايته ، سبيل الى معرفة كبار شخصيات الدولة العثمانية . وآب بالاجازة قاصداً اصدار الطبعة التركية فحالت دون ذلك موانع . ومصر في ذلك الحين تدعو الادباء والعلماء بوافر الاكرام وعظيم التقدير . فسافر الى القاهرة عام ١٨٨٧ . وهناك ظفر رجال النهضة العاملون بخير حليف ، ويهب من علمــــه في غبطة وايناس ، شأن زهرة البنفسج في نفح طيبها الشذي وهي في مكمنها بين رفاقها الباسقات .

## فكرة تعريب الالياذة

كلف البستاني منذ الصغر بمطالعة الشعر القصصي ، لاسيما هذا النوع الحافل بالخيال وعبادات الاقدمين : من هنود ، ومصريين ، و كلدان ، وفينيقيين ، واغريق ، ورومان . يسبح خياله في تلك الاجواء البعيدة ، ويزن بعقله الثاقب مختلف آرائهم واعتقاداتهم ، واتجاهاتهم الفلسفية ، وفنونهم الادبية . ثم يقابل ذلك بملاحم المتأخرين منهم : كالفرس ، والترك والانكليز والاسبان وغيرهم .

فكان كلما استغرق في الاستطلاع على قديم الملاحم وحديثها ، زاد اعجاباً بالالياذة ، لأنها رغم كونها من اقدمهن عهداً فانها ما زالت — في ما يعتقد — احدثهن رونقاً ، واكثرهن جلاءً ، واوسعهن مجالاً . فكان له من غيرته على العربية ، ورغبته الملحاح في إثراء آدابها ، منية وشوق الى وجود هذه الدرة السنية في لغة العرب .

وحدث ان زاره يوماً وهو في القاهرة ، صديق من كبار رجال الادب والسياسة في مصر . فتناولا في اثناء حديثهما عن الادب والادباء ، الالياذة وشأنها عند امم الغرب . فتلاءما شوقاً الى الياذة عربية . وقبل ان ينصرف ذاك الصديق من عنده قال موجهاً الكلام الى سليمان : « ما أحراك بأن تقوم بهذا العبء فتنفح العربية باسنى هبة واعز غذاء تفتقر اليه لغتنا منذ عصور » قال ذلك معجباً بما ارتأى ، ملحاً على البستاني بمباشرة التعريب ، وسليمان يشيعه بابتسام ودعة .

دخل اديبنا غرفته وجلس الى مكتبه مفكراً ، وقد ناجته النفس

بالقيام بهذا المشروع الادبي الكبير ، مع علمه بخطورة الموقف ،ووعورة المسلك ، وطول الشقة .

## الشروع في التعريب

ثم قال في ذاته : « تلك ملهاة نقضي بها اوقات الفراغ ، فاذا فتح الله وفسح لي الاجل زففتها للقراء والا ،فلا اقلّ من ان اروض نفسي بها ».

ولم يكد ينظم اول بيت منها ، حتى عزم الا يغادرها حتى يأتي على تمامها . وكانت امامه ترجمات جمة : من انكليزية ، وفرنسية ، وايطالية وغيرها . فاخذ يقابل بين الواحدة والاخرى. واذ كان يجد بوناً في أداء المعاني الشعرية بين ترجمة وترجمة عمد الى الاصل اليوناني .

وكانت معرفته باليونانية حينذاك لا تفي بالغاية المرغوبة فعمد الى اتقانها ، ودرسها على احد الآباء اليسوعيين : استاذ متضلع من اليونانية وآدابها . فتم له ما اراد من معرفتها في شهور معدودة . وباشر العمل .

ثم تاقت نفسه الى الاسفار . فبرح القاهرة عام ١٨٨٨ الى العراق ، فالهند، فاطراف العجم ، حيث اقام بضع سنين دارساً عادات الفرس وآدابهم ، متزوداً غذاء غنياً لمقدمة الالياذة وشرحها. وقد غذت الخبرة، والاطلاع والمقابلات ، والوقوف على الحقائق في الاسفار ، القوة الناقدة فيه ، وصقل المران والاستقراء ، ذوقه الادبي ، صقلاً ما عرفه اديب عربي قبله .

وعاد الى بغداد وتزوج هناك من ابنة انطون البغدادي الكلداني ، احد أثرياء التجار ، فلم يوفق زواجه ولم يرزق اولاداً .

ولعل اخفاقه في الحياة الزوجية كان من اسباب توفيقه في الحياة الادبية . فانصرافه عن تأدية واجبات الزوج والاب، كان منه انصراف كلي الى عمله الادبي الجبار .

فاقام في الزوراء سنتين ، تابع فيهما التعريب ، وكتابة مؤلفه : في تاريخ العرب . وكان يقرأ على ادباء بغداد شيئاً من الاناشيد المعرّبة .

وانتشرت « الكوليرا » في اثناء اقامته في العراق فلم يخش هذا الوباء الفتاك ، بل حمل احد اصدقائه المرضى الى بيته ، وقام بخدمه بنفسه رغم تحذير الاطباء . وعني ايضاً بخدمة فتى ارمني ، مصاب بهذا الداء ، فمات المريض على صدره بين ذويه .

ثم برح بغداد الى الاستانة حيث اقام سبع سنوات ، انتدب في خلالها لتولي القسم التركي في معرض شيكاغو . فغادر الاستانة الى اوروبا فالى الولايات المتحدة حيث انشأ جريدة تركية لم تعش طويلاً .

وعاد الى عاصمة الدولة العثمانية ، وشهد في ذلك الحين مذبحة الارمن. والالياذة رفيقته في جميع هذه الاسفار . لقد صحبته الى رؤوس الجبال ، وعلى متون البواخر ، وفي قطر الحديد . فهي وليدة اقطار العالم الاربعة ، ومقتفية عملياً الاصل اليوناني في ربوعه . اذ قيّض للمعرب في رحلاته معرفة مواطن حوادث الالياذة ، وكنوز امثالها ، واجواء قصصها ، والوقوف على آراء ادباء اليونان ، وعشاق هوميروس ممن يلمون بالعربية . فكان يقرأ عليهم مستنداً الى آرائهم ، وهم يعجبون بدأبه ، وأمانة ترجمته .

## في بكشتين

وحل في بكشتين بعد اربعين عاماً من هجرها ، مضت بالاسفار ، جامعاً لبني قومه الخبرة والعلم ، وطريف الحوادث والعادات من مختلف البلاد . وراح في هذه الفترة الهادئة من العمر يبني من جديد على اساس البيت الذي ولد فيه داره الفخمة ، جالساً طوال يومه في ظل ارزتين وارفتين ، يعلم اولاد اعمامه الآداب العربية ، ويعمل في اعداد شرح الالياذة بعد الفراغ من تعريبها .

## في وادي النيل

### نشر الالياذة ، وحكاية الاهداء

ثم انتقل الى القطر المصري بعد يسير من الزمن ، واشترك مع ابني عمه : نجيب ونسيب البستاني في تأليف الجزئين العاشر والحادي عشر من دائرة المعارف وعمل على نشرهما تامين ، فتلقاهما الادباء بشوق واعجاب.

وفي اصيل زاهر من ربيع ١٩٠٤ ارتدى فندق « شبرد » بالقاهرة حلة من زهو باذخ اذ انتدي محفلاً لاوّل مهرجان ادبي في الشرق ، قام به رهط جليل من بكور النهضة الحديثة ، يكرم صاحب الالياذة العربية اثر نشرها في حلة الكمال ، بعد سنين طويلة من عمل دائب ، تعريباً ، وتنقيحاً ، وشرحاً . ووصفت كبرى الصحف والمجلات العربية ذلك

اليوم ، المهرجان الكبير وصفاً رائعاً .

وكان قد نمي الى سمو الخديوي عباس خبر تعريب الالياذة . فأحب أن يُهدى الكتاب اليه . واظهر رغبته تلك الى شاعره احمد شوقي، فزار شاعر الخديوي اديبنا في منزله ، واشار اليه بأن يهدي الالياذة الى سمو الامير ، فينال من عطفه ومساعدته حظاً سعيداً ، في حين ان الكثير من الادباء ، كانوا يقدحون زناد الفكر في سبيل التقرب الى الملوك والامراء طمعاً برضاهم ، ورغبة بنوالهم .

على ان اديبنا الأبي اعتذر بلطف ووداعة ، شاكراً عطف الخديوي وتقديره. ولما نشرت الالياذة في قشيبها العربي بدا في صدرها رسم شيخ لبناني ، مطمئن المهابة ، سمح البشاشة ، رحب الجبين، تكاد لا تمعن النظر بهذا الرسم حتى تتمثل هذا الشيخ في دار واسعة يرحب باضيافه ، ويأمر باحضار سخي المطعم والمشرب .

الى روح صاحب هذا الرسم ، اهدى البستاني كتابه ، جهد ثماني عشرة سنة دأب متواصل . وما أروع روح الوالد تهيمن على نتاج الولد البر الامين . فكان لابائه ودعته ما كان لعمله الجليل من تقدير واعجاب .

# في ميدان السياسة

## عبرة وذكرى

اربعة اعوام بعد نشر الالياذة قضاها سليمان بين مصر وسوريا ولبنان، موضوع اعجاب اصدقائه الكثيرين ، عاملاً على انهاض البلاد الشرقية ، مقابلاً بين مدنيتنا والمدنية الغربية، جاهداً في رفع الستار الكثيف الفاصل بينهما ، يعد في خلواته مادة كتابه المعروف : عبرة وذكرى ، مستنداً في تأليفه هذا الى ما جمع من خبرة ومعرفة والى اتصاله بذوي الشأن من رجال ذلك العهد .

وما كاد يعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ حتى بادر الى نشر كتابه الذي جاء ثمرة في حينها ، داعياً الى نبذ التعصب والى الحرية التي يسيطر عليها المنطق السليم . فهو عبارة عن عظات مخلصة ، غايتها اصلاح ما افسد العهد البائد .

يقع الكتاب في اربعة وعشرين فصلاً : ذكريات شاجية ، وعبراً ثمينة ، شبيه بها ما كتبه ولي الدين يكن في مذكراته عن عهد الاستبداد الا فرقاً قليلاً في اخراج الصور فهي عند سليمان حقيقة مجردة وفي ذكريات ولي الدين مظلمة مكبرة يتبعها تأوه وتحسر. وهناك بعض البون في القصد . فقد اراد ولي الدين البكاء ، وعنى البستاني الاصلاح والتوجيه

الصحيح بالاشارة الى الخطل الهادم وايضاح سبل الانقاذ .

تظهر غاية المؤلف في السطور الاولى من الكتاب . وفي اسلوبه من الجاذبية ما يحمل المطالع على استقرائه ، واستيعاب معانيه رغم مرور الزمن الذي وضع له . وفي درسه زاد لكل سفَر ، وعظات لكل عهد. فالاستعمار كان ولا يزال فاغراً فاه ، ودعاته من ابناء كل وطن وامة ، لا يعدمون في كل زمن ... والحقيقة حقيقة ، والباطل باطل ، في كل زمان ومكان .

والذي يبدو لنا من ندائه الاول في مستهل الكتاب ، انه كان عثمانياً بنوع عام لا يختص من تلك الامبراطورية الواسعة بلداً دون آخر ، بل انه يدعو كل البلاد التي يسيطر عليها النفوذ العثماني وطناً له ، فيقول:

« الى ابناء وطني العثماني »

لو تجلى للناس نبي من الانبياء ، وقال للعثمانيين : بشراكم فلا يهل الهلال حتى تسطع في افق جوكم المدلهم اهلة الحرية والاخاء ، وتتفكك قيود الاستبداد فتسحق وتذرى هباءً منثوراً – لو ، ولو... ولو .. لما وجدت من يؤمن او يجسر على الايمان بدعوته . وهكذا يهيء القارىء الى ولوج الفصول المتتابعة بشوق ولذة .

وتتوالى فصول الكتاب بغريب الحوادث ، وجليل فوائد التاريخ ، تنتهي جميعها بعبرة لا تنسى ، تصف كل نواحي الحياة وذلك الاستبداد الغاشم قبل دستور ١٩٠٨ ذلك الاستبداد القـــاضي على حرية التعليم ، وحرية التأليف ، وحرية القراءة والكتابة والصحافة ، والبريد ، والبرق ، فعلى حرية الجمعيات منسوبة الى السياسة . تبرز خلال ذلك قيود التعصب ،

تئن تحتها نفوس احرار المبادىء من رجال الدين ، والادب ، والسياسة، والاختراع .

وبعد ان يرحب بالدستور الجديد مهللاً لزوال التعصب وممارسة حرية المبادىء والطقوس ، يبحث هذا الدستور الوليد ، فموارد الثروة : من زراعة ، ومعادن ، وصناعة ، وتجارة ، واعمال عامة وشركات ، الى موارد السياحة والاستيطان الى غير ذلك من الموضوعات الهامة، الرامية الى انجاح الامبراطورية العثمانية التي ما عرفت نظيره مخلصاً - منتهياً بنظرة عامة الى مجلس « المبعوثان » في سنته الاولى ، داعياً في هذا الفصل الى تذكر الحوادث التي مرت في الفصول السابقة واتخاذها عبرة للمستقبل فيقول :

« اننا لم نزل في اول ميدان الجهاد، والعقبات والصعاب تكتنفنا من كل جانب ، ونصراء الاستبداد غير مائتين ، وانما هي استماتة وقتية ، يرتقبون الفرص في اثنائها ، ولهم من ابناء التقليد البحت ، وحزم التقهقر الأعمى ، عون قوي يلتف حولهم ايان تسنى لهم الامر . والاصفر الوضاح ما زال يبذل سراً لعرقلة المساعي التي يقوم بها دعاة الاصلاح . وللدولة من المشاغل السياسية ما يجعل اسرة البغاة بارقة أملاً باستعادة شيء من ماضي رفعتهم، وساقط نفوذهم . »

وهكذا يبدو لنا ان البستاني كان يرجو شيئاً كثيراً من الدستور الجديد، وان بقدر الهدم يكون البناء، وانه بمجرد اخلاصه للامبراطورية جمعاء يكون مخلصاً لوطنه ، لذلك تراه يدعو الى الاصلاح العام ويوضح وسائله في هتاف كله ايمان وعقيدة :

« فيا حبذا ذلك اليوم الذي نراه منذ الآن في مسارح الخيال : يومَ لا يبقى من الاستبداد الا ألم ذكراه ، وطرب النفوذ بدك معالمه . يوم يسيطر العلم ، فيسطر الفلاح حساب مزروعاته ، بخط يده ، ويتفاهم جميع ابناء البلاد بلا ترجمان . يوم تنتظم الفتيان جنباً الى جنب في فرق الجندية من ابناء كل امة ودين . يوم تخضل الارض ، ولا ينال البحار من مياه الانهار الا فضلاتها . يوم يخفق العلم العثماني في عرض البحار على اساطيل الدفاع ، وبواخر التجارة ، وتتشعب طرق النقل ، براً وبحراً ، تشعب العروق بالجسد. يوم يفاخر ابناء الامة العثمانية سائر امم الارض ، وليس هذا اليوم ببعيد باذن الله . »

هذا ما كان يأمله البستاني من دستور الذين دعوا انفسهم دعاة الاصلاح في ذلك العهد . ولم تكن نشوة الخيال هي التي أملت عليه هذه الأماني. فما من امة من الامم مهما بلغ منها الضعف والانحطاط ، ان هي تطلعت الى النور، واتخذت هذه الآراء والمبادىء اساساً لنهضتها — إلاّ كان الفوز حليفها دون ما ريب .

هذا لمع ضئيل مما وضعه اديبنا في كتابه من اشعة العلم والخبرة راميا الى المثل الاعلى من الاصلاح والعمران .

# في مجلس المبعوثان

على أثر نشر كتاب : عبرة وذكرى ، استدعى مجلس جمعية الاتحاد والترقي سليمان البستاني ، وكان من اعضائها العاملين ، فانتخب نائباً مع رضى بك الصلح عن ولاية بيروت [١] فظهرت مواهبه العزيزة في ذلك المجلس وعرف الاتراك قدره ، لاسيما بعد ان وُشي به في شأن الالياذة اذ زعم الوشاة انها تحط من قدر النبي والدين ، فانقلب الحقد اجلالاً له وتأييداً لخطته بعد وضوح الحقيقة .

وكان سليمان صدّاح ذلك المجلس ، يسيطر على شعور القوم ببلاغته وسداد رأيه ، فيحمل على الاكف بين هتاف الاعجاب .

وزار الاستانة في تلك الآونة احد اعيان بيروت ، واتصل بشوكت باشا وزير الحربية ، وقد مرّ ذكر البستاني خلال الحديث فقال شوكت باشا : « نكلفك ان تعلم اهل بيروت ان نائبهم البستاني هو كناية عن خزان كهرباء يرسل اشعته الى جميع دوائر الاستانة ، حتى الى وزارة الحربية نفسها . »

وقد حضر البستاني الجمعية العمومية سنة ١٩٠٩ واشترك في تقرير خلع السلطان عبد الحميد . وأخذ ذلك النجم اللبناني يتألق في نوادي الاستانة ، فانتخب سنة ١٩١٠ رئيساً ثانياً لمجلس المبعوثان ، فرأس اللجان العديدة والوفود السلطانية الى عواصم اوروبا يخطب بلغات اهلها بين

---

١ انتخب البستاني نائباً عن بيروت وكانت في ذلك العهد ولاية عثمانية . ولقد أبى لبنان الجبل ان يمثل في مجلس المبعوثان خوف ضياع شيء من استقلاله .

الاعجاب والاكرام .

ومن تلك البعثات انتدابه رئيساً للوفد الذي اذاع في اوروبا بصورة رسمية ارتقاء السلطان محمد رشاد الى العرش العثماني . فخطب في انكلترة في حضرة جلالة ادوار السابع . فاعجب الملك به وسأله عن اصله وعن مصدر تعلّمه الانكليزية ، فقال انه تعلمها في المدرسة الوطنية ببيروت. فأجلّه الملك ، واولم له في قصره ، وهنأه على مواهبه واخلاصه .

وفي اثناء الوليمة تكلم اللورد سكوبت فقال : « اني اشير على كل من يزعم ان لا رجال عند تركيا — ان يتحدث الى البستاني فيتضح له فساد زعمه . »

وقد انتدبته عمدة اكسفورد فخطب في حفلتها السنوية . وتناقلت جرائد اوروبا رسمه ، ونشر الجامعون سيرته في انسكلوبيدياتهم .

ثم طاف في بلاد الانكليز ،يزور الجامعات والمكاتب ،فيدرس ويستقصي.

وزار ذات يوم المكتبة الملكية الوطنية ،واختص القسم الشرقي منها بهذه الزيارة يرشده مدير لهـا من العلماء المستشرقين . وفي حديثهما عن المؤلفات الشرقية ورد ذكر الالياذة العربية ، فكان لهـا من الاديب الانكليزي اطراء خاص أتبعه بقوله : « ان الترجمة العربية اوفى ترجمات الالياذة » فكان من سليمان خفر متلعثم ، ومن الانكليزي النابه ادراك بديهي ان البستاني معرب الالياذة انما هو هو الوزير التركي محدثه، فانحنى احتراماً مصافحاً اديبنا بحرارة صادقة ، آسفاً لانصرافه عن الادب الى السياسة ، على علو مكانته في مناصبها .

واغدقت عليه في هذه الفترة الاوسمة والالقاب فكان يأباها تواضعاً وحلماً .

## في لبنان

### بين العاطفة والواجب

وبعد عودته الى الاستانة ، أرسل بصفة رسمية الى وطنه . ولكن حرصه على مصلحة الدولة منعه من زيارة اهله ، ومسقط رأسه .

وذلك انه في عودته ذات مساء من زيارة المتصرف في بيت الدين والى جانبه في العربة التي تنقله من ولاية بيروت الى صيدا — نسيبه الشيخ عبد الله البستاني ، وبينما العربة تجتاز بهما الطريق بين السعديات والدامور ، رفع سليمان نظره نحو بكشتين فتجلّى له البيت الذي ولد فيه ، وتم في غيابه تجديد بنائه ، إثر هذه اللمحة العاطفية ، نظر الى نسيبه والدمع يترقرق في عينيه ، فتنهد طويلاً ثم أنشد :

قد طال عهدي بالقريض فخلتني أنسيته ببديعه وبيانه
وحللت لبناناً فهاج قرائحي ذكر الصبى بحنينه وحنانه
فاذا نطقت فانما هي جمرة في قلب من يصبو الى لبنانه

واتمّ المهمة التي أسندت اليه ، وعاد الى الاستانة وفي قلبه الى لبنان ظمأ على ظمأ .

واثر هذه العودة سنة ١٩١١ عُيّن سفيراً فوق العادة ، لدى دول اوروبا ، فمثل الدولة العثمانية في رومة ، وباريس ، ولندن ، وبرلين ، وبروكسل ، وبطرسبرج ، يحف به الاعجاب والتوفيق في حلّه وترحاله .

# في الوزارة

وفي عام ١٩١٣ عيّن وزيراً للتجارة، والزراعة ،والغابات،والمعادن ، فقام باصلاحات ما عرفت تلك الوزارة لها نظيراً .

وعيّن الجنرال سارو الفرنسي مديراً لمدرسة الغابات، وكان في ذلك الحين في رتبة « قومندان » ، فسارت تلك المؤسسة شوطاً كبيراً في ميدان التقدم ، وكذلك سائر اقسام الوزارة .

واذ كان تقدمي التفكير ، أشار الى تأسيس النقـــابات فحالت الاضطرابات دون هذه الامنية . ثم ارتأى سحب امتيـاز شركة سكة حديد بغداد من يد الالمان ، فحال دون ذلك تأثير الالمان في الحكم التركي وكانت هذه الشركة من اسباب حرب ١٩١٤

وكان البستاني الى اخلاصه لمنصبه أنوفاً ، يدافع عن اصالة رأيه بكل مـا لديه من قوة . وربمـا ضحى بمنصبه مهما عظم في سبيل الاخلاص والكرامة .

حدث في العـام ١٩١٣ ، أن مجلس الوزارة العثمانية قرر بيع غوربيسان – وكان ملكاً للسلطان عبد الحميد – من شركة روتشلد اليهودية . فوقع جميع الوزراء على العقد . ولمـا جيء به الى البستاني ، احتج على هذا العمل ، وهدد بالاستقالة . فاضطر انور باشا ان يمزق العقد بعد التوقيع عليه . وهكذا بقي الغور ملكاً للعرب .

وللبستاني ايضاً يعود الفضل في اتمام عقد الصلح بين تركيا وبلغاريا بعد نهاية الحرب البلقانية . اذ ان دي ناتشوفيتز المعتمد البلغاري كان

قد قضى شهرين في تركيا دون ان يتمكن من التفاهم مع اولياء الامر من الاتراك . وكاد يقنط ويعود . وأخيراً انتدب البستاني للقيام بهذا الشأن . ولما اجتمع بالمعتمد البلغاري قال هذا الاخير بنافد الصبر : « امل علي شروط الاتفاق كما تريد . »

وهكذا تمت شروط الصلح ، فاهدى المعتمد البلغاري صورته الى البستاني وكتب عليها : الى صاحب المعالي سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة ، اعراباً عن اعترافي بجميله ، لجهاده ونجاحه في احداث تقارب بين الامبراطورية العثمانية ومملكة البلغار : امضاء .

وعلى أثر ذلك رغب السلطان في تعيينه سفيراً في لندرة . فتلقت الجرائد ذلك النبأ بارتياح . لكن اديبنا اعتذر لاسباب صحية . ولم يقبل من الالقاب والاوسمة التي انهالت عليه في هذه الآونة الا ما اختص منها بالوزارة .

وبقي في منصبه الوزاري حتى أعلنت حرب ١٩١٤ . وقد بذل اسخى ما بقي لديه من جهود في ابعاد الدولة العثمانية عن خوض غمارها . لكن حماس طلعت وانور والماركات الالمانية وأدت كل مساعيه وجهوده فاستقال من الوزارة واعتزل السياسة .

اما وثيقة استقالته ، فهذا نصها : [١]

ولما وجد وزير التجارة والزراعة سليمان افندي البستاني ان القرار سيتخذ بدخول السلطنة العثمانية الحرب العالمية وقف قائلاً : لقد كان في نيتي تقديم استقالتي من الوزارة منذ ايام . وقد بينت ذلك للصدر الاعظم . الا انني تأخرت عن تقديمها أملاً مني بأن أتمكن من حمل الزملاء على

١ عن كتاب : كيف دخلت تركيا الحرب صفحة ١٧ : فؤاد ميداني .

التمسك بالحياد التام تجاه هذه الحرب الطاحنة . وقبل حضوري هذه الجلسة اجتمعت بسفير الولايات المتحدة وسألني رأيي فأجبته : ان المجال لا يزال لدينا فسيحاً لحمل مجلسكم هذا على تقرير حياد السلطنة . اما الآن وانا ارى الاغلبية ميالة الى دخول الحرب العالمية فاني اقدم لكم استقالتي من الوزارة راجياً باصرار قبولها قبل اتخاذ اي قرار كان في صدد دخول تركيا الحرب العالمية .

انور باشا – اننا لا نرى بأساً من قبول استقالة البستاني افندي ما دام يصر عليها

البستاني – انني اصر على الاستقالة حباً بخدمة بلادي ، واعتقادي هو ان الامة العثمانية اذا دخلت الحرب العالمية تخطىء كثيراً . ويكون دخولها سبب نكبات عظيمة تحيق بها . فتجنباً لهذه المخاطرات اردت البقاء ، اما وان الاكثرية من الزملاء تريد دخول الحرب ، فارجوكم قبول استقالتي . وها اني منسحب من بينكم . » قال سليمان افندي البستاني ذلك وانصرف .

ثم غادر الاستانة الى سويسرا فلحق به طلعت باشا مسترضياً ، واعداً اياه بمعاملة الولايات العربية بالحسنى ، فطلب منه البستاني السعي بالصلح . فعملا معاً ، ولكنهما لم يفلحا .

وكان التعب قد هدّ قواه ، والتأثر على الدولة العثمانية التي خدمها باخلاص ، كان عاملاً آخر في هدم صحته . فاعتل ، ثم سافر الى سويسرا طلباً للراحة والشفاء . فدخل في مستشفى : « مون روان » حيث أجريت له عملية اذاقته آلاماً مبرحة ، واذابت سخي شعوره في قصيدتيه الرائعتين : الداء ، والشفاء .

# العودة الى الادب

## الداء والشفاء

ما اكاد أتمثل البستاني ، ملقىً على فراش الآلام في مستشفى «مون دوان » في سويسرا ، حتى يخيّل لي المتنبيء محموماً في مصر ، يتلظى شوقاً الى الشفاء ويذوب وجداً الى الامارة التي طالما علل النفس بالحصول عليها ، مطلقاً أحرّ زفراته واصدقها شعراً في قصيدته الرائعة :

ملومكما يجل عن الملام . . . . .
وزائرتي كأن بها حياءً فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها ، وباتت في عظامي

فما اشبه البستاني بأبي الطيّب بحالته تلك ! ولكن ، شتان بين واجد بالمناصب يطلبها بشتى الوسائل ، وبين زاهد بها ، قد :

علق السياسة وهي بكرٌ حرةٌ واشاح عنها الوجه وهي وقاح [1]

وذاق مرّ العيش بعد هنائه ، وقد بلغ اليأس أوفى نصيب من نفس ابيّة ، جاهدت الصعاب ، وذابت اخلاصاً في خدمة دولة تداعت الى الدمار ، فتداعى ذلك الجهد السخي ، وكسفت غيوم المطامع الدنيئة ، نور الصراحة الوضاح . فمل الحياة الاليمة في غربة نائية ، وقد جفا النعاس

[1] هذا البيت من قصيدة لفوزي المعلوف رثى بها البستاني

اجفانه لشدة اعتلاله فانشد في وصف اعراض الداء الممض ، وقد حمله على السأم من العيش :

ألم تسأم وعيشك بات مرا  توسد من لظى الآلام جمرا
تقلب في فراش السقم جنباً  لجنب ، موقداً بطناً وظهرا
وجفنك لا يذوق الغمض سهداً  وقد هجعت عيون الناس طرا

ويسترسل في وصف تباريح الآلام ، ويصف علاجاتها وما انتابه في اجرائها من عذاب :

لكهف الكهرباء أقاد حتى  مجاريها تساق اليّ جرّا
كأن لها شعوراً بالتياعي  فتسمعني انين الحزن جهرا

وبعد تصوير كيفية العلاج بالكهرباء يأتي على ذكر الطعام الذي يقدم له ، خالياً من كل لذة ، وقد حرمت عليه الفاكهة ، والتوابل ، والزاد المزجى حتى يصير في مسبح الكبريت خمس عشرة دقيقة ألم فوق كلّ ألم :

فمن نارٍ الى نارٍ فنارٍ  وهذي منتهى النيران تترى

ولكل نار موضعها من نفسه وجسده ، على ان صبراً يائساً يستولي عليه فيركن الى الاستكانة :

فذا دائي وذاك علاج دائي  ولست بعالم ايّا امرّا

وان من كان عليلاً في بلد غريب وقد صفت نفسه بعد ان بلا الحياة ، رأى عجزه حائلاً دون اداء واجب الشكر لعطف الطبيب مها بالغ في ذلك . وأنى له ان يفي جميل الممرضات وهو يلمس في عنايتهن حنواً فارقه منذ عهد الطفولة :

تحف بك الاساة ولست تقضي لذاك العطف ما بالغت شكرا
ومن حوليك ثم ممرضات حنين الامهات تحذن نذرا

وما يفعل جهد الآسي وعطف الممرضة في داءٍ برّح في خلايا الجسم وجاوزها الى النفس . ومن ثمة ، فان العلة الكبرى ، هي الوحدة ، مهما طاب الانس في بلد غريب . فهو ابداً مفكر بما انتاب بلاده من ويلات، آسف على جهوده الضائعة :

بعيد عن حمى وطنٍ ورهط به نثرتهم الاقدار نثرا
رياضٌ زاهرات بتن بوراً ودور عامرات بتن قفرا
واعمال وآمال تلاشت ، بوصف بنائها أفنيت عمرا

ولا غرو اذا ما اندفعت الحكمة تزخر بالعاطفة من صدر رحب المعارف ، اليف التجارب ، جيّاش بالألم المضيض :

أجل ان الرغائب خادعاتٌ يقدن النفس حيث عمدن قسرا
أمانيّ الفتى تمسي وتغدو وان نخرت عظام المرء نخرا

ثم يستسلم الى القدر ، أنوفاً من اليأس العاجز ، ولم يبق له سوى امنية واحدة يراها ديناً عليه . وقد عمل لها قدر المستطاع وهو في كرسي الوزارة وفي سوى ذلك من مناصب ولم يقيض مشمر لعمله . ولكن يأخذ الآن على نفسه عهداً بالوفاء ان احياه الله . وان غالته المنية فان له في اخلاص نيته عذراً جميلا :

ولي وطنٌ تثقل كاهلاه واهلوه يعانون الأمرا

لهم وله عليّ ديون حرٍ　　اروم وفاءها فأموتَ وحرا
وبعد قضاء ذلك لا أبالي　　أطال العمر ام ألحدتُ قبرا
وان تغل المنية قبل هـذا　　فان بنيّة الاخلاص عذرا

فالبستاني في « دائه » جسد يتلوى ، وصدر يزفر المأ لاهباً ، واعضاء تتكمش ، ثم تلقى واهيـة ، ترفضّ عرقاً .. شفتان تتلمظان ، وعينان قريحتان ، ذهب العيـاء باعز ما فيهما من نور ، وأنى لهما ان تتذوقا لذة الكرى ، والألم اشد ما يكون تبريحاً . فكرٌ يجوب جميـع العوالم في قلق وارتباك ، فيرى الاماني خادعة ، وكل بناء لا بد له من ان يتداعى الى دمار . ويسود هدوء على ألم ، هو هدوء الضمير الحي بعد استعراض المآتي الطيبة .

كل هذا يتجسم لدى ناظرَي من يطالع قصيدة الداء ، فيرى شاعرية صادقة ويتمثل نفسه امام شيخ جليل ، نال منه السقام فيود من كل قلبه لو يستطيع مؤاساته ، وتخفيف آلامه .

## الشفاء

في السابع عشر من تموز ١٩١٨ والحرب ما تزال قائمة ، والألم ما فتىء مريراً ، القى البستاني اليراع في وهن يائس ، خاتماً قصيدة الداء ، لا يأمل بأن القلم قد يعود يوماً فيرتعش بين تلك الأنامل الواهية .

وما انتهت تلك السنة بانتهاء الحرب ،حتى زالت بعض همومه ،فأخذ

الداء يتراجع عن مستقره في نفسه ، وخفت وطأته عن جسده . فأطل في ربيع ١٩١٩ من احدى نوافذ المستشفى ، فأحس لاول مرة دفء النور الطبيعي وجماله في تلك البلاد ، واحس في نفسه قابلية لينقل النظر في طبيعة سويسرا وقد ارتاحت نفسه لكل جمال .

فارتسمت صورُ تلونها ، وتقلبها في خياله ، وامتزجت بعاطفته الناقهة فتآلفت في نغم لذيذ كان منه موشح «الشفاء» .

يدعو في مطلعه نفسه الى اليقظة ولو قليلاً في اصيل حياته الصافي قبل دنوّ شمس مغيبه :

أفق ولو حيناً قبيل الرحيلْ    لم يبق من صحوك الا القليلْ

أفق فذي شمسك رأد الاصيل

إن آذنت بالعبورْ    عمَّ الظلامْ

وغت عاري الشعورْ    بين النيامْ

وفاتك الحس وسمع الكلام    والمنطق العذب ومرأى الجميل

مضت نيران آلامه الى خمود ، وباتت عوادي الزمان على ارتحال فرأى في الربيع طيفاً شافياً واطلّ من الشرفة يجتلي تلك المناظر :

أطلّ من شرفتك العاليهْ    وسرح الطرف على الرابيهْ

بين غياض برزت زاهيهْ

بوشيٍ ثوبٍ قشيبْ    زاهي الرياشْ

يشرح صدر الغريبْ    ما الجأش جاشْ

لا يلتقي فيه رقيب وواشْ    ولا من الظلام سيف سليل .

وبعد وصف مناظر الطبيعة من بحر ليمان الى مون روان : الهضاب الخضر ، والقمم الشوامخ ، ناصعات النواصي ، وجيوش الضباب تتراكم وتتكاثف سحاباً :

ينشرُ جنحيه على الضفتين ويتمطى بكلا الجانبين

فيحجب النور عن المقلتين

تلفيه بحراً يموج بين الجبال

وما لتلك المروج فيه خيال

بحر على بحر بديع الجمال هذا على ذياك أرخى السديل .

يصف تقلبات الطبيعة وصفاً يكاد يكون لوحة حساسة . والى ذلك الفتيان والفتيات في جنى الزهر ، زهور على زهور . والشمس تبدو وتختفي كالطفل في دعابه ، الى وصف ذلك العمران الرائع متمنياً مثل ذلك لوطنه الحبيب ، لا يغفل ذكر المباني ، والفنادق ، تمور فيها الالوف . فسويسرا منتجع الرائد ، وهي فردوس هذا الزمان لولا تتابع اغبرار السماء ، وتقلب الهواء ، من زمهرير الى حر ، ومن مطر دافق الى شمس محرقة . كل هذا هاج في نفسه الحنين الى لبنان :

ذكرت لبنان فهاج الحنين فؤاديَ العاني لذاك العرين

قد عزّ مناه طوال السنين .

فاين تلك الفصولْ بلا انحرافْ

واين تلك التلولْ والجو صافْ

واين ماء فيه محيٍ وشافْ واين ذيّاك النسيم العليل .

وأخيراً يتساءل : هل يتسنى له ان يغمض مقلتيه في تلك البقعة الحبيبة من الارض ، ويتاح له ان يلقي رفاته في ترابها العزيز بين الاهل والاحباء؟

بهذه الامنية يختم البستاني « الشفاء » : صورة نفس الناقه ، يدب فيه البرء بطيئاً بعد ألم مبرح . فيحس الوجود ، ويرى بعض جماله فيصوره شاحباً كنفسه الناقهة ، ويتحدث عنه في تقطع واضح يرتاح في قرار حلو ، فيه صورة التهدج والضعف . ثمّ هو ، لا يأمل بالعيش طويلاً ، وانـه يرى الراحة التي لا بد منها : راحة القبر ، تدعوه بعد الجهاد . فيستسلم لهـذه الدعوة وله فيها آخر امنية : القاء الرفات في احضان وطنه الغالي .

وعهد اليه وهو لا يزال في دور النقاهة بكتابة مذكرة الحرب ، من حيث دخول تركيا فيها . فوضعها في ١٢٠ صفحة طبع منها عدد قليل وزع على مندوبي الدول المجتمعة .

## من اوروبا — الى مصر — فالى العالم الجديد

وبعد اشهر قلائل استدعى سليمان اخـاه المحامي الاستاذ سليم فلبى الدعوة وجاء به الى مصر مريضاً . وبعد سنة ونصف سنة شفي من مرضه ، بفضل عناية اخيه الدكتور عبدالله .

وإثر نهوض تركيا ، دعاه مصطفى اتاتورك الى أنقره ليشغل منصباً خطيراً ، فحالت دون ذلك موانع .

واتنابته العلل بعد رجوعـه الى مصر . فاجريت له عملية في احدى

عينيه فلم تنجح ، وضعف نور الثانية ايضاً . وكان اثناء ذلك يعمل في انجاز اختراعين هامين .

وفي صيف ١٩٢٤ استزاره كبار السوريين واللبنانيين في الولايات المتحدة الاميركية . وكانت له في اميركة امنيات ثلاث: الاجابة الى رغبة محبيه ، فمقابلة اديسن لعرض الاختراعين عليه ، فالاستشفاء من مرض عينيه .

فركب البحر في شوق الى الاجتماع بالادباء الشباب القائمين بنهضة التجديد محتملاً أعباء السفر ، رغم انحطاط قواه .

وما بلغ شاطىء العالم الجديد، حتى خف الى استقباله كبار الجاليتين : السورية واللبنانية ، وفي طليعتهم الادباء . وراحت جرائدهم ومجلاتهم تكتب الفصول الطوال في درس آثاره ، وذكر ما قام به من اعمال .

ونزل ضيفاً على احد انسبائه يتحين الفرص للاجتماع باديسن ، فلم يتسن له ذلك . واقيمت له في تلك الآونة بنيويورك حفلة تكريمية شائقة ، اشترك فيها جماعة من ادباء العرب ، ودعيت اليها نخبة من رجال اوروبة واميركة ، ممن عرفوا البستاني ، عهد الوزارة ، ورئاسة الوفود ، والمعارض .

قالت جريدة السائح : والتف رجال العلم والادب في نيويورك حول ضيفهم كما يلتف الجند حول العلم

وقال احد الخطباء في نهاية خطابه :

« فلو وُجد البستاني في احد البلدان الغربية لاستغنى من علمه ، واثرى من قلمه ، ولنصب له مواطنوه تمثالاً ، رأسه من الفضة ، ودماغه من

الراديوم ، وعيناه من الماس ، وعنقه من الياقوت ، وصدره من الذهب، وذراعه من الفولاذ ، واصابعه من العاج ، تخليداً لذكراه ، وقياماً بحق شكره .»

وإثر نهاية الحفلة تقدم البستاني الى ذاك الخطيب فامسك بيده وقال : «ان وصفك للتمثال الذي اردته لي جميل جداً . ولكنك اردت ان تكبرني في عيون الناس ، فصغرتني في عيني نفسي .»

على ان الاقدار التي جعلت من البستاني هوميروس العرب ، شاءت ايضاً ان تتشابه نهاية هذين الاليفين النابغين . فلم يمض زمن يسير على وجود ادبينا في العالم الجديد ، حتى عاوده ألم عينيه فأتى على نورهما . فاضطر الى ملازمة المنزل الذي اصبح محجة الكتاب والادباء ، ينهلون من ذلك العلم الغزير ومن فيض تلك الروح السامية .

فكأني بنيويورك «بوس» هوميروس يتألب فيها اهل تلك الجزيرة حول الشاعر الاكبر ، والحكيم العظيم .

واقعده المرض ، فكثر عوّاده ، والمتشوقون لمعرفته عن كثب . وطفق زعماء الاندلس الجديد يزينون صفحات جرائدهم بسديد آرائه ، وشائق الاحاديث والنوادر عن طيب مزاياه .

قال جبران في عدد ٢٢ حزيران من مجلة السائح من مقال كتبه اثر عودته من زيارة شيخنا الجليل : من منا عرف رجلاً في السبعين، اذا مدحه احد على عمل ، توردت وجنتاه حياء ، كأنه لم يزل صبياً في السابعة . واذا لامه احد ، على أنه انصرف عن العلم والادب الى السياسة يجيب مكتئباً : « قد اسأت الى نفسي على اني ارجو اني لم اسىء الى احد .»

وينقل جبران بهذه المناسبة حديث فتاة اميركية ذات منزلة ادبية ، قالت بعد خروجها من زيارة البستاني : « وددت على جهلي العربية ، ان اقبل لولا الخجل يد هذا الشيخ الجليل . »

قال جبران : « وبعد يومين زرت البستاني ورددت على مسمعه كلمات تلك الفتاة ، فلم يقل كلمة ، بل ظهرت على شفتيه تلك الابتسامة الحلوة ، ثم تساقطت دموعه السخية على لحيته البيضاء : تلك دقيقة نادرة ابانت لي حقيقة البستاني اكثر بما لا يقاس من اي كتاب وضعه ، ومن اية قصيدة نظمها . »

وقال ميخائيل نعيمة : « وكبر البستاني في عيني حتى خجلت من نفسي ، لأني لم اقدره حق قدره لاول نظرة القيتها عليه . فهو ممن اصطفتهم الحياة انية لجانب من جزيل خيراتها وثمين هباتها . » عن مأثور من كلام نعيمة في مجلة السائح .

على اني وفقت هذا الصيف الى اجتماع بناسك الشخروب ، ولما سألته رأيه في البستاني اجاب : « وما اقول لك عن عالم هو بحر زاخر في اي موضوع[1] شئت ، علمياً كان ، ام ادبياً ، ام سياسياً . انه لرجل مدهش . »

---

١ ذلك صيف ١٩٤١ اذ زرت وصديقاً لي نعيمة في بيته ببسكنتا ، بصفته اديباً عرف البستاني حياً .

## الرجوع الى بكشتين

وما زال ذلك النور الحي ، يذوب هبات ساميات، ويترجرج في لذة العطاء ، حتى خبا في اول حزيران ١٩٢٥ وله من العمر ٦٩ سنة وثمانية ايام . فعرض جثمانه المهيب ، بعد تحنيطه، في قاعة الكنيسة المارونية بنيويورك . ثم نقل بعد اربعة ايام الى كنيسة شارل دي بوريمي اللاتينية، حيث صلي عليه بحضور قناصل الدول العظمى ، وكبار الجاليات اللبنانية والسورية وجمع غفير من الاجانب في بالغ الخشوع والاكرام .

وبينما الجثمان الجليل في تلك القاعة ، قبلة الزوار، وموضوع الاجلال الصامت ، كانت الحفلات التكريمية تقام لذكره متتابعة ، في مختلف البلاد . الاولى حفلة نيويورك في السادس عشر من حزيران ، تكلم فيها اعضاء الرابطة القلمية وسفير الولايات المتحدة في الاستانة سابقاً ، وكان صديقاً له. والثانية اقامتها الجالية السورية اللبنانية في الارجنتين. والثالثة حفلة بيروت الكبرى التي اشتركت فيها وفود جميع البلاد العربية . والرابعة في المكسيك . والخامسة حفلة نيويورك الثانية في السادس من تموز .

وهب الادباء، وكبار الرجال في الوطن والمهجر نظير : نعوم مكرزل ، والامير شكيب ارسلان ، وجبران خليل جبران وغيرهم يدعون الى رفع تمثال له ، والى تسمية شارع من شوارع بيروت باسمه .

وفي اثناء تتابع الحفلات ، كانت الصحف والمجلات الكبرى تنشىء اعداداً ممتازة في وصف ما كان يجري له من الاكرام وجميل الذكرى.

وتنشر الفصول الضافية عن حياته ودرس آثاره .

فقد اعدت السائح عدداً زينته برسمين له : احدهما بريشة جبران ، والثاني رسم شمسي .

واختصه كل من الجرائد والمجلات الآتية : الهدى ، والاخلاق ، ودير القمر ، بعدد ممتاز مزين ، عدا الصحف والمجلات المصرية ، والسورية ، والعراقية ، والتركية وعدد غير قليل من صحف بلاد الغرب ، ناشرة في الملأ فضل هذا العالم النابغ .

وفي هذه الابيات من قصيدة الشاعر ايليا ابي ماضي صورة حية لما كان لاديبنا من تكريم :

فتح الموت حين اغمض جفنيه عيون الورى على حسناته
فهو ماض له جلالة آت من فتوحاته ، ومن غزواته
والفتى العبقري يولد ، اذ يُولدُ في مهده ويوم وفاته

وقد بلغ الاحتفال بتشييع جثمانه الى الباخرة التي قدمتها شركة فابر غاية المهابة . فما وصلت الى ثغر بروفيدانس آخر ثغور تلك البلاد ، حتى صعدت اليها الوفود العديدة ، قادمة من المدن المجاورة تؤدي في صمت مهيب تحية الوداع الأخير للفقيد الجليل .

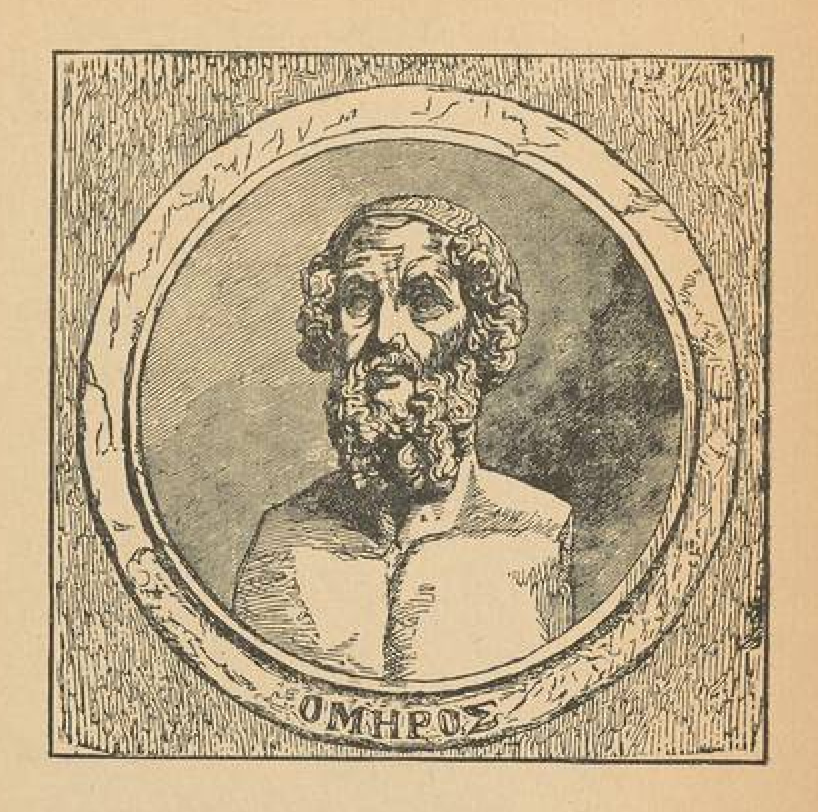
وفي الخامس عشر من آب القت تلك الباخرة المرساة في ثغر بيروت فكان لهذا الجثمان الذي اذابه الحنين الى الوطن استقبال فخم ، اشتركت فيه وفود القرى ، والسلطات الحكومية . وبعد ان صلي عليه في كاتدرائية مار جرجس ببيروت نقل في ١٧ آب بين خط مديد من السيارات المزينة الى السعديات .

وهناك تألبت وفود القرى من مختلف المذاهب ، فحُمل على الاكف الى بكشتين ، بين جموع تمور على تلك الرابية الخضراء ، ينشدون التآبين بالعامية والفصحى حسب مختلف اقاليم البلاد وعلمها .

وهناك سِير به حتى أدخل البناء المتوج بالاحمر القاتم ، المشرف بايناس على ما جاوره من بيوت دكناء .

وفي غرفة منفردة ، حيث تمّ انشاء شرح الالياذة العربية ، جثمان رائع الجلال ، غني المهابة ، وشحه اصفرار الموت برهبة الابدية .

هــذا الجثمان المهيب ، هو حجاب نفس الاديب العالمي ، والسياسي الكبير ، سليمان البستاني ، راقداً في ظلال السكون ، حيث رأى نور الحياة ، رمزاً للنبوغ ، والوطنية ، والوفاء .




هومیروس

# مقدمة الالياذة

## درس عام

لمقدمة الالياذة أهمية كبرى في العالم الادبي . فهي اغنى المقدمات العربية فائدة واعذبها اطلاعاً ، لانها خلاصة درس دقيق لاسفار عديدة ، تاريخية وادبية وعلمية ، في لغات مختلفة . تقـــع في نحو ٢٠٠ صفحة من الالياذة ، مسبوكة في اسلوب شخصي متين ، يسير بالمعنى الى الادراك سير نهر متدفق ، في سهل منحدر يبلغ غاية مجراه في راحة ، وعذوبة ، وصفاء .

وهي على اختصاصها بموضوع الالياذة ، بستان متنوع الثمار يجتني منها المتأدب ، الشاملَ الدقيق من مختلف فروع علم الادب في ايجاز بليغ لا غموض فيه ولا ابهام .

يستهل اديبنا المقدمة بذكر ما يدور حول نسب هوميروس ، من حكايات واساطير ، فيقر به الرأي بعد الاستناد الى مصادر متباينة على ان هوميروس هو مليجينيس ابن النهر ميليس . نسب الى النهر لانه ولد على ضفته . واما والدته فهي : كريثيس ابنة ميلانوفوس . واما ابوه فقد قيل انه من الجن . واذ كان هوميروس لا يزال صبياً ، تزوجت امه ثانية من معلم كتّاب في ازمير يدعى فيميوس فكفل الصبي وادبه .

وقد رأى فيه بوادر النبوغ . ثم مات الرجل فاتخذ هوميروس مكانه وبدأت منذ ذلك الحين شهرته .

وشوّق اليه الاسفار ،صديق له كان رباناً،فانشأ يتنقل من بلد الى بلد، يجني الخبرة الواسعة ، لكنه ما لبث ان اصابه مرض وهو في احد اسفاره فكف بصره ، ودعي منذ ذلك الحين هوميروس اي الكفيف البصر . وكان ذلك عند نزوله في « كومة » التي اطلق عليه اهلها هذا اللقب ، ضناً بمساعدته . فقابلهم بهجاء لاذع . ثم انتقل الى جزيرة يوس فاكرمه اهلها بعد ان نهلوا من حكمته ، وتغنوا بشعره . فذاعت شهرته ، وتقاطر اليه الناس من كل صوب يتلقون منه اناشيد الابطال ، وحكمة الآلهة . ثم عاوده المرض ، وما زال بـه حتى قضى عليه . فأجلّ اهل الجزيرة رفاته وعظموا قدره بعد موته وبالغوا في اكرامه حتى العبادة .

وبعد مدة انقرض الشعر في تلك الجزيرة ، وانحطت الفنون فتألب اهل يوس على قبر هوميروس عابدين . ثمّ غرسوا نباتاً على ضريحه وحفروا : « إن من هذا النبات الاخضر ، غطاء للرأس المقدس ، رأس الشاعر هوميروس ، شبيه الآلهة الذي كان يتغنى بمدح الملوك والابطال . »

وادعت هوميروس بعد موته ، كل جزيرة لها من حياته أثر . وسك اهل ازمير النقود باسمه ورسمه . وبنوا هيكلاً دعوه الهوميروم اي : هيكل هوميروس . وتحدته طوائف بالانشاد والنظم . وقد كلف الاسكندر بشعره ، فكان يحمل الالياذة أنى ذهب . وكان يحسد الابطال الاقدمين اذ تسنى لهم الشاعر هوميروس ، يصف وقائعهم ويخلّد ذكرهم .

هذا موجز مما يحيط بحياة هوميروس ، رأينا اثباته في بدء كلامنا عن

المقدمة ، لشدة اتصال حياته بالالياذة ،وتأثير ذلك في حياة البستاني نفسه .

ثم يجمع المعرب طائفة من اقوال كبار الادباء وعظماء الملوك في الشعر الهوميري بعد ذكر العاملين في جمعه وتبويبه . فيذكر لنا ان هوميروس عُرف عند العرب ابان الدولة العباسية . ويورد اسماء المؤرخين الذين اتوا على ذكره . ويوقفنا بعد ذلك على مواطن حوادث الالياذة . وقد سافر اليها وتتبع كل أثر لشاعر اليونان ومواقع حروبهم مع الطرواد.

اما موقع طروادة ، فقد كان يمتد من جنوبي آسيا الصغرى الى الهلسبنطس : « الدردنيل » ، واصل هذه الحرب : ان فاريس بن فريام ملك طروادة ، نزل ضيفاً على منيلاوس : ملك اسبارطة . فراود الشاب هيلانة زوج الملك على نفسها ، وفر بها الى اليون : عاصمة الطرواد . فدارت الحرب بين الاغريق والطرواد بعد سعي لاسترجاع هيلانة ، ورفض من قبل فاريس. ولم يتمكن اليونان من فتح اليون ، عاصمة الاعداء ، إلاّ بحيلة الداهية اوذيس بطل الاوذيسية : ملحمة هوميروس الثانية .

وأما موضوع الالياذة ، فانه مبني على احتدام غيظ آخيل ، بطل اليونان الذي اغتصب منه اغاممنون : ملك ملوكهم ، سبيته التي ربحها في تنكيله بالطرواد في هذه الحرب . فاعتزل المعارك ، وكادت تدور الدائرة على الاغريق لولا ارعواء آخيل بعد مقتل حبيبه فطرقل .

وبعد ان يوجز البستاني الآراء التي دارت حول الالياذة مع ذكر اصحابها ، يؤيد بادلة قاطعة النظرية القائلة : ان الالياذة هي منظومة واحدة ، لشاعر واحد . وينوه بغنى ما فيها من علوم . فهي حياة حافلة

بكل المعاني الحضرية ، وليس هذا الغنى هو سبب خلودها ، وانما ذلك قائم كون هوميروس نقر على اوتار الافئدة فاثارها ، ونفخ في بوق الارواح فاطارها ، ومزج الحقيقة بالخيال فتآلفا وتحالفا . وسبر اعماق النفس في سذاجتها ، وتحرى الفطرة ببساطتها . وهاج العواطف والشواعر ، وتكلم بجلاء لا تشوبه مسحة التكلف . فأوجز واسهب ، ومثّل وفصّل ، حسب مقتضى الحال ، بكل عقيدة واخلاص .

ثم يعالج الاسباب التي منعت نقل الالياذة الى العربية ، فيجزم على ان اهمها هو الدين ، لوجود خرافات وقصص في الالياذة تشبه بوثنيتها ما جاء في الكتب المنزلة . وثانياً : اكتفاء العرب بما عندهم من شعر ، ثم اغلاق فهمهم اليونانية ، وعجز النقلة عن نظم الشعر العربي .

وقد نقلت الشهنامة الى العربية دون الالياذة ، لأن ناظمها اديب مسلم . وشتان بين مسلم ووثني .

ويقدم البستاني بعد ذلك درساً قيماً في اصول التعريب مبيناً مناهجه المختلفة ، ضارباً على يد النقلة والماسخين الذين يأتون على الاصل ولا يعترفون به . اما طريقته المتوخاة فهي : نقل المعاني ورسمها رسماً صحيحاً ينطبق على لغة النقل ومشرب قرائها . فاذا قرأ المرء مثلاً كتاباً معرباً فانما يقرأه عربياً لا اعجمياً ، مع الحرص كل الحرص على المعنى الاصيل .

## مصاعب التعريب الشعري

ولا يخفى على الادباء ما يقوم في هذا السبيل الشاق من عقبات ، والمعرب جد امين على المعاني يتوخى المثل الاعلى في مشروعه الخطير . ولقد صمم النية على تعريب الالياذة شعراً ، حرصاً على الرنة الموسيقية والرونق الفني ، وفخامة المعنى. لان الشعر اذا انتثر في لغته تضاءلت قيمته وذهب رواؤه، والترجمة تبقى دون الاصل بالغة مابلغت والمنقول نثر . فكم يعتري المعاني الشعرية من شحوب اذا نقلت الى لغة اخرى بالكلام المنثور ؟ والقالب الشعري للمعنى الكامن فيه ، كالجسم للروح ،ففي الجسم تم هذا الاندماج، وهذا التوازن. واختلاف الاسلوب يبدد المعنى تبديداً . فكما انه لا اجسام متعددة للروح الواحدة، كذلك لا ارواح متعددة في الجسم الواحد.

هذه صعوبة عامة تقف في وجه كل مترجم امين . اما العقبات التي تصدت للبستاني خاصة فهي اولاً : خلو اللغة العربية من الشعر الملحمي. فلا سبيل اذن الى القياس او التحدي. ثانياً : وحدة القافية العربية ، والملل الذي تحدثه في نفس القارىء اذا طالت القصيدة . ثالثاً : البون الشاسع بين التفاعيل العربية والاوزان الشعرية اليونانية .رابعاً :اختلاف التشابيه والكنايات، والاستعارات ،والاصطلاحات ، والاجواء ،وتباين المألوف من المعاني ، الى آخر ما هنالك من صعاب لا يقوى على تمهيدها غيرُ الابتكار والتجديد ، او استحداث دروب فنية ، تلين لكل طارىء وغريب من حياة كل امة ،على اختلاف الزمان والمكان .

وسنبين في ما يلي بعضاً من جهد البستاني الموفق في هذا السبيل .

# البحث عن ملاحم عربية

تحرى اديبنا الشعر العربي، قديمه وحديثه، فلم يجد فيه ما هو جدير بان ينسب الى الشعر الملحمي نسبة كاملة. وذلك بعد اطلاعه على ملاحم: اليونان، والهنود، والمصريين، والفرس، والترك، والعبرانيين، والفينيقيين، والسكنديناڤيين، والجرمان، والرومان، ومن ثمة على ملاحم الايطاليين، والانكليز وغيرهم، محاولاً ان يجد عند العرب أثراً من هذا الفن. فعمد اولاً الى سفر ايوب، فهو ملحمة جميلة اذا ثبت انه كان شعراً عربياً نقله موسى الى العبرية نثراً. ففيه تتم شروط هذا الفن. فأصل الملحمة من التحام القتال. او من لحم الامر بمعنى احكمه. او ألحم الشعر وحاكه. فقصة ايوب لا تخرج عن نطاق هذا التحديد، ولكنها وصلت الينا في هيكلها النثري.

اما باقي ايام العرب وقصص حروبهم، فانها تدنو من الشعر الملحمي من حيث التحام القتال، ولكن جميعها يفقد اللحمة الشعرية. ووجد أخيراً ان رسالة الغفران للمعري، هي ادنى الجميع الى هذا الفن ولكن استغلاق عبارتها، وفقدان الطلاوة الشعرية منها ينحطان بها عن درجة ملاحم الاعاجم.

ورأى ان سبب ضعف الشعر الملحمي عند العرب، او فقده تماماً من آدابهم، انما هو عدم اهتمامهم بما وراء الطبيعة في جاهليتهم لفقد العاطفة الدينية عندهم. هذا ما بلغ اليه المعرب في تحري الملحمة عند العرب، فلم يبق امامه من سبيل سوى اقتفاء آثار هوميروس نقلاً في

منتهى الامانة والدقة ، فتعترض سبيله وحدة القافية المملة ، فما العمل والالياذة تزيد على ستة عشر الف بيت من الشعر ، عدا ما هنالك من اختلاف في الاوزان والتشابيه ، والاستعارات وما الى ذلك من صعاب؟

## المقابلة بين الاوزان اليونانية والعربية

نظم هوميروس الياذته على بحر واحد، هو الوزن السداسي المعروف عندهم بال Hexa Mètre . وهو اذا حملناه على الطريقة العربية :

فاعلُ فاعلُ فاعلُ فاعلُ فاعلُ فاعلُ

وهو غير مقفى ويجوز فاعلٌ دون ان يتغير الوزن .

فما على البستاني اذن الا ان يجرؤ فيختط لنفسه نهجاً جديداً متطلعاً الى الموشحات الاندلسية التي لم يتعدّ اصحابها في موضوعاتهم الغزل ، والزهد ، ووصف الرياض ، وتي لم تتجاوز المسبّع المنتهيْ في قافية لازمة بعد سبعة ابيات . فعمد الى استنباط دروب للنظم حديثة ، غير خارج فيها عن اصول اللغة والشعر . واننا سوف نرى نماذجها في ما انتخبناهُ من اناشيد الالياذة . اما النهج الذي اتبعه المعرب فهو :

كان يعمد الى الجملة سواء ساوت بيتاً او بيتين او اكثر ، ويسبكها في قالب عربي ، محافظاً على المعنى الاصيل كل المحافظة . خلاف ما فعل الافرنج من زيادة ، وحذف ، فتبديل مما قد شوه المعنى الاصيل .

## تذليل باقي الصعاب

واما فيما عنى اختلاف الاساليب البيانية ، وتباين الاوضاع اللغوية ، وغرابة الكثير من المعاني ، فهذه جميعها قد دانت لسلامة ذوق المعرب وطول باعه في معرفة اصول اللغات وآدابها ، وسطوته الماهرة على الاوضاع العربية : أثرى اللغات بالمعاني الفطرية. والى هذه المزية في لغة الضاد يعزو المعرب الفضل في توفيقه . فعبّر عن طعام الآلهة بالعنبر ، وعن شرابهم بالكوثر ، ولم يلجأ الى تحريف الاعلام والتلاعب بها شأن سواه من المترجمين ، بل تصرّف تصرفاً فنياً في ما تنافر من الفاظها ، بحيث لا يضيع الاصل ، ولا يثقل على اللفظ العربي .

وفي الالياذة تراكيب وصفية ملازمة لكثير من اعلامها، وقد يتعدد تكرارها ، الى حيث يُكره ذلك في العربية ، كوصف آخيل بخفة القدم ، وهكطور بهز الخوذة فقال : طيّار الخطى في الاول ، وهيّاج التريكة في الثاني .

وفي الشعر الهوميري كثير من تشابيه الابطال بالحيوان كالكلب ، والحمار ، والخنزير وغيرها من المألوف في جاهلية اليونان النائية . فاستهجنها المترجمون الافرنج ، فحوّلوا الكلب ارنباً ، وأكلوا الحمار برمته ، في حين ان هوميروس كان يرمز في تلك التشابيه الغريبة عن ذوق ابناء العصور المتأخرة ، الى غرائز في الحيوان ، محمودة او مذمومة ، يوضح بها صفات ابطاله ، فأتوا بتأنقهم هذا على ابرع المعاني وارقها .

أمّا البستاني ، فقد تقصى المعاني الهوميرية ، وتمكن من اظهارها في

حياتها الاصيلة دون ما تبديل او تحوير : فاستعمل الجأب بدل الحمار ، والرت بدل الخنزير ، والنواهس بدل الكلاب . فتجلت روعة المعاني في العربية ، مثلها في اليونانية ، وبدت التشابيه جميلة مألوفة .

## الشعر العربي القديم والالياذة

في هذا الفصل من المقدمة ، يبحث المعرب حقيقة الشعر العربي القديم وينفي المنسوب منه الى القبائل البائدة . فوضوحه يدل على انه من نحل المتأخرين . فيكون في هذا الرأي سابقاً لمن ادعوه من بعده . واما الشعر الذي يركن الى بعض صحته فهو في رأيه – الذي يرتقي منه الى ما قبل القرن الخامس للميلاد . وان ما انشد منه قبل هذا العهد قد عفا لقلة رواته . ويقول بتقدم الشعر على النثر لملازمة الافكار الشعرية – الفطرة البشرية : «فاذا كان الشعر مدوناً قبل الميلاد بعصور ، في لغة الهنود ، والمصريين ، واليونان ، وبلادهم معتقلة بقيود الحضارة ، فما بالك بالعرب ، وهم في بداوتهم ، وجاهليتهم ، يطوفون في عالم الخيال ، فلا قيد ولا عقال ، يطرقون البوادي والقفار ، ينقرون على ما شاؤوا من الاوتار ، ويسامرون النجوم . وهم جميعاً بين هائم وهاجع ، وهاجم ومدافع ، ومنافر ومفاخر ، وكل ذلك مما يهيج السليقة الشعرية حتى في الافئدة الخاملة . وهم هم اليوم في باديتهم ، اولئك الرعاة الغزاة ، أباة الضيم . والشعر على تغير لهجته واعرابه ما زال انيسهم وسميرهم في الحل والترحال

وسيظل كذلك الى ما شاء الله . »

ثم يشير الى تعدد اللهجات العربية في الجاهلية ، والى تأثير الاسواق في توحيدها ، وفضل القرآن في حفظها وتوطيدها ، مقابلاً ذلك بتطور اللغات اليونانية منذ نشأتها الى يومنا هذا . فقد كانت متباينة اللهجات والاوضاع حتى صهرت جميعها باليونانية ، والالياذة تعلم اليوم في اليونان كأنها ترجمة عن اللغة القديمة . فالعربية اذن هي اطول اللغات الحية عمراً ، واثبتهن قدماً . والفضل بذلك رغم تباعد اللهجات وإشكال التفاهم يعود الى القرآن .

## تقسيم الشعراء الى طبقات

يبحث البستاني تقسيم طبقات الشعراء الى جاهليين ، فمخضرمين ، فأمويين ، فمخضرم اموي ، فمخضرم عباسي ، فمولدين ثم محدثين ، ويعين الزمن لاستحكام كل طبقة منهم ، مبيناً ميزة عامة لكل فئة ، بعد ان يورد منتخباً قيماً من شعر فحولهم ، محللاً هـذا الشعر حسب طريقته العلمية الخاصة مستنداً الى أبعد الموارد واحقها ، ممهداً الى درس كل فئة بمقدمة بليغة المعاني زاخرة بالصور الحيّة . وعلى سبيل المثل نورد مقدمة درس له في طبقة المولدين :

« قامت الدولة العباسية في السنة المئة والثانية والثلاثين للهجرة . والسلطنة الاسلامية موطدة الدعائم ، مشيدة الاركان . وغزاة العرب

ضاربون في المشارق والمغارب ، يقوضون ما تداعى من مباني الفرس والرومان فينبذون الانقاض البالية ، ويشيدون على اسس الحزم دولة قيّض الله لها ان تكون دولة العزة والسلطان في ذلك الزمان . فامتلأت خزائن الخلفاء بكسب المجاهدين ، وجباية الاموال . وتسرب ما فاض منها الى بيوت المقربين وصنائعهم ، من امير وفقير ، وعميد وشريد ، فذاقوا حلو حضارة الدولتين الهاويتين ، وتبدلوا مرقعة عمر ، ذلك الدثار الرث ، الذي ضمّ بين ردنيه ، عماد الاسلام والمسلمين ، ببزة الخز والديباج ، وعلالته بلبن وتمر وأيسر الآدام ، بشهيّ طعام لماظته الفالوذ والسكباج ، وذلك الرحل على بعير قارح يمتطيه الخادم والمخدوم – وهما سواء في شرع الاسلام – بالسروج الموشاة على الجياد المطهمة ، تحف بها مواكب الحشم والغلمان ، فعلت القصور ، ووشيت الخدور ، وزها الرياش ، وانبسط المعاش . والشعراء من افراد تلك الامة يرقون رقيها في معارج العمران . »

وبعد اظهار فضل المولدين وخصب شعرهم ، وكثرة موارده ، مستنداً الى شواهد كثيرة من شعرهم ، يؤاخذ شعراء هذه الطبقة لا سيما المتأخرين منهم في اربعة امور : اقتضاب الوصف الشعري ، والتبذل بالمديح ، وابتذال الغزل وتكلفه ، والتجاوز في المجون الى درجة تغض من قدر الشعر ومنزلة الشعراء . وهنا يجد المعرب سبيلاً الى انصاف هوميروس فيقول :

إن الالياذة على ما وصلت الينا اليوم ، نقيّة من تلك المغامز ، لا يؤاخذ صاحبها على شيء مما ذكرنا ، رغم ما كان فاشياً من الخلاعة في ذلك

العصر . ثم يدرس اديبنا كل مـــا رافق الادب العربي من تطور ، حتى النهضة الأخيرة ،عائداً الى انصاف المولدين بذكر ما استحدثوه من علوم ، وفنون ادبّية : من نقدٍ ، وعروض، وبيان ، وبديع ، ذاكراً العاملين في مختلف هذه الفنون ، مشيراً الى مصادر اقتباسهم .. سابقاً كل اديب عربي الى بحث المنزلة الشعرية من حيث اختلاف الاقاليم :

« فابناء الجزيرة العربية ظلوا جانحين الى البساطة الجاهلية لانطباع تلك الأخلاق في نفوسهم . فرافقت شعرهم الصراحة ودقة الوصف ، الى غير ذلك من مزايا الشعر البدوي . وبرز المصريون بالرقة والعذوبة لدماثة في خلقهم ، ورقة في طباعهم . وغلبت البلاغة والمتانة في العراقيين ، لشدة في فطرتهم وتلامسهم لاهل البادية . ومال الاندلسيون وسائر ابناء المغرب الى التفنن في اساليب الشعر ، ووصف الغياض والرياض لنضارة ارضهم . ووقف السوريون بين المصريين والعراقيين فجمعوا بين رقة الاوّلين وبلاغة الآخرين. ولكنهم لم يبلغوا مبلغ فريق منهم في احكام صنعته. » ونستروح في نقد البستاني لشعر المحدثين فـــكاهة ناعمة لا تخلو من لذع لطيف . يقول بعد الاشارة الى ان الشعر هو مرآة نفس الشاعر ، وغذاؤه البيئة في كل عناصرها : « اصبح شاعرهم – يعني المحدثين – يسوق الظعن وهو على متن قطار البخار ، ويترنم بالرقمتين ، وينيلها من كرمه صفات جنة عدن ، ولا يدري انها في بادية قفرة تقتله اشعة الشمس اذا وقف اليها ساعة واحدة . »

## تقسيم الشعر

### النقل والسرقة

ومن البديهي ان يقابل البستاني بين التقسيم الشعري عند العرب ، وبين ذلك عند الفرنج ، ولاسيما بعد ذكر طبقات الشعراء .

فالعرب يقسمونه الى: مدح،وهجاء ، وفخر ، وحماسة،ورثاء ،وزهد، وغزل ، وما اشبه .

أمّا الفرنج ، فانهم يقسمونه الى قسمين يشملان كل المعاني : غنائي يعبّر عن شعائر نفس الشاعر ، وقصصي يعبر عن شعائر غيره . وبعد هذه المقابلة ينصح لنا الاقتداء بالفرنجة من حيث تقسيم الشعر رغم فقرنا بالقسم الثاني منه. فابوابنا الشعرية العديدة تنضوي جميعها تحت الغنائي باكثرها ، ونصيب القصصي منها ضئيل .

ولم يترك البستاني سبيلاً من سبل النقد الا خصه ببحث شائق ، فأتى على ذكر النقل والسرقة ،وتوارد الخواطر ، منبهاً الى اهمية هذه الامور في نقد الآثار الادبية ،مميزاً بين هذه الالتباسات تمييزاً واضحاً ، ذاكراً الامثلة الجمة على توارد المعاني ، واظهرها اتفاق غريب بالتشبيه بين هوميروس وامرىء القيس ، رغم اختلاف الزمن ، والبيئة ، والحسّ وما الى ذلك من مؤثرات . قال هوميروس :

وهب الطراود والتصقوا ... وفي الصدر هكطور مندفقُ
كجلمود صخر قد انتزعا ... من الشم سيل به اندفعا
له الغاب مرتجة ترتجف ... الى القعر حيث بعنف يقفْ

وقال امرؤ القيس في وصف جواده :

مكرٍّ ، مفرٍّ ، مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطه السيلُ من علِ

ومن ثم يبين مآخذ الفرنج عن هوميروس في امثلة عديدة : ففرجيليوس في انياذته، وتاسو الايطالي في اورشليمه، وملتون الانكليزي في فردوسه ، وفولتير الفرنسي ناقلاً نجوى زفس للطرواد – صفحة ٦٧٦ من الالياذة العربية – الى منظومته كانيلينا . ويختتم المقدمة باظهار فضل الشعر ومنزلته عند العرب ، وما بلغه الشعراء من ثروة وعزة وشهرة ، مبيناً ثبات العربية في وجه العواصف ، داعياً الى تغذية هذه اللغة ، والنهضة بها في التأليف ، والتعريب ، وسائر المشاريع الادبية والعلمية ، دعوة مصلح خبير ، ومجاهد كريم .

ومجمل القول : ان مقدمة الالياذة ، خلا كونها زبدة درس عميق ، شامل ، لشتى نواحي الادب في كثير من اللغات الحية ، هي الى ذلك مصدر العلم الشخصي ، والذوق الفني ، والطبع المرهف ، صقله الاقتباس ، وبلوره المران . فقد انفرد صاحبها في تحليله ونقده ، دون الاستناد الى احكام السابقين وآرائهم : نظير ابي عبيدة ، وابن سلام ، وعمرو بن العلاء وغيرهم، بل اوضح السبل العلمية الصحيحة ، ومهد للبصيرة والذوق، الحكم على الاثر الادبي . وعلى نهجه سار عدد من نقاد العهد الحاضر ، وسلاحهم في ذلك،جرأتهم وعلمهم ، وذوقهم السليم . فنبه بعضهم ولاقت تآليفهم شهرة وتأييداً .

# شرح الالياذة

## اقسام — مزاياه

منذ ما شرع البستاني ينظم اناشيد الالياذة ، صمم النية على ان لا يزفها الى قراء العربية عارية من الشرح والتعليق . متوخياً مثلاً اعلى ونفعاً لبني قومه كبيراً . شأن العالم المعطاء والمعلم الانساني ، الذي لا يكتب غاية الشهرة ، وانما يحس الحاجة الى البذل، ويستمتع بلذة تقديم انتاجه ناضجاً ، ويفرح لرؤية الجاني يغتذي مسروراً ، فلا يقف في هذا السبيل عند جهد ، وان عظيماً يؤدي الى ارهاق أعز قواه .

ولا يسع من يطالع الالياذة كاملة ، الا ان يعجب بما قام به المعرب من جهود في درس العديد من المجلدات الضخمة والاسفار الطوال : عربية ، واعجمية ، علمية وأدبية ، الى آخر ما هنالك من شعاب شاقة ، غاية الاستقصاء والوصول الى ما ينشد. فقد اعترف ،رغم بعده عن الغرور: أنه استشهد بمابتي شاعر عربي ، قديم وحديث. فضلاً عن درس الكتب العديدة في سائر اللغات ، قديمة وحديثة . وربما كان يقرأ الكتاب كاملاً طمعاً ببيت واحد من الشعر . فقد قضى في الشرح ، مضاعف الزمن الذي قضاه في التعريب . وقبل ان نلج البحث في مزايا الشرح الخاصة ، يمكننا بعد درس المقدمة ان نوجز لهذا الشرح صفة عامة في هذه الكلمة : ان

المعجب بمزايا مقدمة الالياذة العربية ، يماثل بالنسبة الى غنى شرحها ، امرأ بهره لمعان جوهرة سنية ، هي واحدة من كنز كبير مليء بمثلها .

ولكي نتمكن من ابراز بعض مميزات هـذا الشرح ، جعلنا منه اقساماً عدة تنضوي تحت الموضوعات التالية : التحليل والمقابلة بين الجاهليتين : اليونانية والعربية ، وصف الشؤون الحربية ، التاريخ والجغرافية ، الفلسفة واللاهوت ، المرأة وانصافها ، العقائد والعادات ، انصاف هوميروس ، الاثر الفينيقي والشرقي في الالياذة ، واخيراً تفسير الرموز الهوميرية ، محاولين انشاء فكرة عامة في كل موضوع منها .

## التحليل والمقابلة

ربة الشعر عن أخيل ابن فيلا    أنشدينا واروي احتداماً وبيلا

ما ان يتذوّق البستاني بشغف مطلع اناشيد الالياذة « ربّة الشعر » التي بنيت على احتدام غيظ اخيل كما مرّ في بحث المقدمة ، ثم على ارعوائه بعد مقتل حبيبه فطرقل — حتى تتبادر الى ذهنه ، مطالع جميع المعلقات ، والقصائد الجاهلية العربية ، فيعرضها ، ويعمد الى المقابلة بين الجاهليتين من حيث المعتقد اولاً ، مشيراً الى إخلاص اليونان في عقيدتهم الدينية والى الايمان بالوحي والالهام ، فيقول : ان هوميروس استعان ربة الشعر في مستهل ملحمته ، وتبعه في ذلك ، من شعراء الامم الأخرى ، فرجيليوس اللاتيني ، وملتون الانكليزي . بيد ان العرب لم يكونوا على شيء من التزلف

لآلهتهم . فإن امرأ القيس قد بكى ، واستبكى ، وذكر الاحبة ، والدار ، والغربة ، في بيت واحد من الشعر ، دون الاستعانة بأحد الآلهة ، وكذلك طرفة ، وزهير ، وسواهم . ويتابع هوميروس :

ذاك كيد عمّ الاخاءَ بلاهُ فكرام النفوس ألفت افولا [1]
لاذيس انفذن منحدرات وفرى الطير والكلاب القبولا [2]

فينبه البيت الثاني اديبنا الى بيت عنترة :

تقلبه وحش الفلا وتنوشه من الجو أسراب النسور القشاعم

هذا من ناحية تماثل المعنى الشعري ، واما المعاني الباقية في البيتين التالين ، فقد اوحت الى صاحب الالياذة العربية ، بحثاً واسعاً في شأن الجثث : حرقها او ابقائها طعاماً للكواسر ، مقابلاً بين اعتقادات اليونان ومعتقد العرب وسائر الأمم في جاهلياتهم ، ذاكراً خرافات واساطير جمة وردت في كتب الهنود ، والفرس ، والمصريين وغيرهم تكون فكرة شاملة في هذا الموضوع الممتع .

واما فيما يختص بالتحليل والنقد ، وشرح الالفاظ والمقابلة بين المعاني اليونانية والمعاني العربية ،فانك لا تكاد تقرأ شرحاً لنشيد أو فقرة منه حتى تلمس ذلك النهج الواضح تغذيه الخبرة الواسعة : يعمد الى البيت المعرب ، فيشرح الفاظه بدقة ،ويذكر امثلة وردت فيها الالفاظ ، فاذا لم تكن عربية الاصل ، اشار الى مآخذها ، ومصادرها ، او الى تعريبها اذا كانت معربة . ثم يعود الى شرح المعنى الشعري ، فينثر البيت اولاً

---

[1] الاخاء : الاخائيون يعني بهم اليونان [2] اذيس : اله الجحيم

ولكن ، نثر الدر على رخام ناصع ، مبيناً قيمته من البلاغة والفن الشعري ومقابل ذلك في العربية : هذا آخيل في احتدامه يقول :

سأقلع راجعاً ولديّ خير اعاود موطني واحلّ داري
وأشهد لست تلقى بعد خذلي كنوز المال في جرف البحار

فهو نظير عنترة حين انكره ذووه ، والحالة النفسية ذاتها ، على اختلاف الزمان والمكان ، والدم واللسان ، فيقول شاعر بني عبس :

سيذكرني قومي اذا الخيل اصبحت تجول بها الفرسان بين المضارب
سيذكرني قومي اذا الخيل اقبلت وفي الليلة الليلاء يفتقــد البدرُ

واذ يخشى البستاني ان تبدو لنا التشابيه غريبة ، يقربها لنا من خلال درس طبيعة تلك البلاد ، كذا : آخيل يعرّض باغاممنون :

يا مليكاً بنشوة الراح مُثقَلْ يا لحاظ الكلاب يا قلب أيّلْ

يقول : « شبه بالايل لأن طبيعة اليونان كثيرة الجبال والهضاب ، يكثر فيها هذا الحيوان الجبان ، بينما العرب يشبهونه بالنعامة . »

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تفزع من صفير الصافرِ

وكم يرتاح المطالع الى تشبيه يوناني ، قد رأى مثله في العربية ، والوحي في ذلك هو الجمال : يقول هوميروس في وصف هيرا : امرأة زفس ، ابي الآلهة :

رمقته بطرف عين مهاةٍ ثم قالت وما الذي ترويهِ ؟

فيذكر البستاني بيت علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى ، من حيث ادري ولا ادري

فعيون المها نفسها بين الرصافة والجسر ، وفي ذرى الاولمب : عرش الآلهة ترمق بدلال فاتن ، فتأسر القلب ، وتثير الغرام .

وكثيراً ما يورد هوميروس في شعره القصص ، والفكاهات ، آتياً في ذلك على وصف الابطال ، وما يحيط بحياتهم ، فيقابلها المعرب بشبيه او معارض لها عند العرب . فهذا ارسبا الفتى الأبر : . . .

ففي مضرب السبل كان يطوفْ يغيث العباد ويقري الضيوفْ
وفوق الطريق بنى داره ليكرم بالقرب زواره

يماثل في قوله هذا حاتماً الطائي حين ينشد :

وابرز قدري في الفضاء قليلها يرى غير مضمون بها وكثيرها
وليس على ناري حجاب يكنها لمستوبص ليلاً ، ولكن انيرها

وإن أبرزَ هوميروس اغاممنون يحرض منيلاوس على القتل بقوله :

أبيدوا الرجال بدار النزالِ فتحلو المجالُ وتم المنالْ

تمثّل المعرب سديفاً الشاعر يدخل على السفاح ويحثه ألا يرأف بسليمان بن هشام الاموي بقوله :

لا يغرنك ما ترى من رجالٍ ان تحت الضلوع داءً دويّا
فدع السيف وارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرها امويّا

وفي النشيد التاسع من الالياذة وصف لمجلس في مضرب اغاممنون ، ملك ملوك الاغريق ، ثم في مضرب اخيل ابّان احتدامه ، حيث يعمل زعماء اليونان على استرضاء اخيل : بطلهم الاعظم بعد ان ساءت حالهم .

في هذين المجلسين يبيّن المعرب شأن كل خطيب من خطباء ذلك الوفد، فيتمثل القارىء امام عينيه المجلس المهول ، من اقيال وجبابرة ، في قواهم العقلية والجسدية ، ويستسلم الى النهل من تلك الخبرة الغزيرة ، ثم يتنبه الى هذا الوعيد :

للمباني حرقاً وللقوم ذبحـــاً     والغواني والولد ذلاً وكسرا

هذا الوعيد الذي أنطق به هوميروس بطله آخيل في عز احتدامه ، ذكر لنا المعرب به البيت العربي :

للسبي ما نكحوا، والقتل ما ولدوا     والنهب ما جمعوا، والنار ما زرعوا

واذا بكت صافنات اخيل على فطرقل :

هذا، وصافنات اخيل انبرت     في عزلة تذرف دمعاً مذ درت

لا يعجب ادبينا من تمثيل هـذه الصافنات تذرف الدمـع وهي من الجياد الخالدات ، فقد بكت الخيول كثيراً في التاريخ ، ولكن بكاء جواد عنترة يفوق في روعته وتأثيره ، جميع الجياد الباكيات ، وهو الى ذلك فصيح ينطق في حمحمة :

فازورّ من وقع القنا بلبانه     وشكا اليّ بعبرة وتحمحم

وان فخر اليونان واعجب المترجمون بهذا الايجاز :

فطرقل ملقى، وهكطور بشكته     والجسم عارٍ عليه النقع ملتحمُ

وفخر اللاتين بمأثور يوليوس قيصر : Veni, Vidi, Vici أتيتُ ، فرأيتُ ، فظفرتُ ، جاءنا البستاني بامثلة عديدة من بلاغة الايجـــاز عند

العرب ، فامرؤ القيس مثلاً ، بكى ، واستبكى ، وذكر الاحبة والمنزل في شطر واحد من الشعر : قفا نبك.... وقصّ شوقي كل رواية الحب من اولها الى آخرها في بيته المشهور :

نظرةٌ ، فابتسامة ، فسلامٌ فكلام ، فموعدٌ ، فلقاءُ .

وهكذا عطف على هذين المثلين ما لا يستوعبه المكان من امثلة موفقة ، على جمال الايجاز ، وبراعته عند العرب .

## وصف الشؤون الحربية

نظم القواد سرى الجندِ بحمى الجيشين على الحدِّ
زحف الطروادة عن بعدِ بصديدٍ ، عالٍ ، مشتدِ
ودويٍّ ، يقصف كالرعد

لمس المعرب ما يقصد شاعر اليونان في شأن نظام الجيش ، فقال : « ان الجلبة عند الطرواد تدل على سوء نظام الجيش بعكس ذلك عند الاغريق . » ثمّ يتخلص الى تقسيم الجيوش عند العرب ، والى مصادر اقتباسهم هذا التنظيم ، الى تسمية الرتب العسكرية ، الى تطور الانظمة ، الى استعمال الابواق والطبول ، الى ذكر وقائع العرب وايامهم المشهورة ، فالى ذكر نصيب المرأة العربية في القتال ، خاصاً بالذكر اسماء اللواتي اشتركن منهن بالمعارك ، واذكاء صدور الرجال بالحماس . في حين ان

نصيب المرأة اليونانية ، كان محصوراً في اعـداد الطعام ، وغسل جثث القتلى ، وخدمة الابطال بعـد ايابهم . ويتطرق الى تصوير الشيوخ من اليونان ، والطرواد اثناء المعارك ، واقفين ، ينظرون من على البروج والمرتفعات ، منتظرين إياب رسل الحرب . مقابـلاً ذلك بموقف شيوخ العرب ، وشأنهم في الحروب.

ثم يشرح طريقة التعاقد والتحالف عند اليونان ، قايساً ذلك بتعاقد العرب وتحالفهم ، قبـل الاسلام ، وبعده ، ذاكراً الامثلة على حسن الجوار وحفظ الذمام عنـــد العرب ، واغاثتهم الملهوف ، واكرام الضيف ، والذود عن الجار بكل عزيز وما ورد من حكايات في هـــذا الشأن . فكل شعر يوناني حري ان يفتح امامه آفاقاً جديدة ، تنتهي ببحث ممتع مفيد : فما ان تمثل وصف هوميروس للبطل اياس بعد فتكه بطروادي :

فاهوى،واهوى طامعاً بسلاحه ايـاس فصدته السهام المواطرُ

حتى تنبه الى موضوع الاسلاب في الحرب ، فعالجه باسهاب عنـــد اليونان وعند العرب ، معززاً هـذا البحث الطريف بشواهد عديدة ، وحكايات متنوعة ، يُستخلص منها : ان اليونان كانوا يعكفون على الاسلاب في توازن المعمعة طمعاً بالمال ، والفخار ، لانها كانت الدليل القاطع على بأس صاحبها . ولم يكن ذلك شأن العرب . فان غايتهم هي المسلوب لا السلب . بل ان فارس بني عبس كان يقسم السلب ، دون ان ينال منه نصيباً ، ويقول في ذلك :

ونشرت آيات المذلة فوقهم وقسمت سلبهم لكل غضنفرِ

ولا يهمل التجسس ، وله في الحرب شأن هام ، وانما يبحث جميع نواحيه ، وتطوره عند كل امة محاربة في الزمن القديم ، فقد كان على غير ما هو عليه في ايامنا . فكثيراً ما كان يقوم به الزعماء والامراء . كما حدث في حروب بني اسرائيل وفي تاريخ العرب . وربما اختلفت طريقة التجسس عند امتين متنازعتين في عصر واحد كما حدث بين الاغريق والطرواد . فقد ارسل الاغريق اقوى ابطالهم ليأتي بالمعلومات الهامة عن جيش العدو واستعداده . اما الطرواد ، فقد عهدوا بهذه المهمة الى أطمعهم بالاسلاب ، بعد جلبة قوية ، ووعود صعبة التحقيق .

## الجغرافية والتاريخ

ما من مكان ورد ذكره في خلال اناشيد الالياذة ، مضى دون الاشارة اليه ، والتعليق عليه . فقد عرف البستاني تلك الاصقاع حق المعرفة . وعاشر سكانها وتقفى آثارها . فكأن الظروف السياسية مهدت له السبل لهذه الغاية وادت له الخدمة الجلّى . فباحتكاكه بسكان جزر الارخبيل اليوناني تغلغل في جو مراحل الالياذة . وظفر بما لم يظفر به سواه من استقصاء ملحمة اليونان الكبرى . فقد حدد الامكنة وقدر مساحاتها ، وتكلم في موضوع انساب القبائل اليونانية ، والطروادية ، والفينيقية وغيرها ، وما رافق كلاً منها ، من حوادث واساطير . فاذا ما ورد هذا البيت:

يكذبه قوم الدرادنة الأولى بلوك وابناء الطراود والملا

بيّن لنا المعرب بعد الاستناد الى مصادر ناطقة ، ان الدرادنة هم قوم انياس الذي يقال ان من نسله بناة رومة . وان الدردانيين كانوا سكان دردانيا في آسيا الصغرى . وهي مدينة على مقربة من الدردنيل .

وما اليونان : الاسم الذي يطلقه العرب على جميع قبائل الاغريق ، سوى ملة هاجرت الى اغيالة قبل حرب طروادة بمئتي عام ، ورجعت الى بلادها في الاتيكة بعد تلك الحرب بمئتي عام ايضاً . وقد شمل اسمهم جميع تلك الامم المتضافرة . وقس على ذلك من معلومات هامة عن جميع انساب الامم القديمة التي لها صلة بالالياذة ، وعن مواطنها وتاريخ جلائها .

## الفلسفة واللاهوت

لقد خصّ الفرنجة كلّ ناحية من الالياذة بدرس منفرد ، عالجه مختص به في كتاب او كتب حسب اهمية الموضوع وعلم الباحث واجتهاده .

أمّا البستاني ، فقد اخذ على عاتقه بحث كل نواحي الالياذة ، واستطاع ان يقوم وحده ، بما تعاون على القيام به عدد غير يسير من ادباء الغرب ومؤرخيهم . وهكذا ، فاننا لا نعجب اذا رأيناه يبحث قضايا الفلسفة واللاهوت بحث عالم بصير ، فنصغي اليه — وقد نكث الطرواد بالعهود المعقودة بينهم وبين الاغريق ، وزفس ابو الآلهة موالٍ لهم — يفسر ذلك بما تلخيصه :

ان المعتقدات الحية تحكم بالحرية المطلقة من قبل الخالق للمخلوق. فيأذن له بارتكاب الاثم، لا لانه يسر بذلك، بل لأن مجترم الجريمة، سبق وصمم في نفسه على اجترامها. وهذا الاذن يصدر من الخالق، دفعاً لتقييد الاعمال، واحقاقاً لمبرة ذوي المبرات، اذ لا يأتونها حينئذٍ اجباراً بل طوعاً واختياراً.

وهذا استنتاج موفق للمعرب من تعدد الالهة عند اليونان: «كان اليونان على اعتقادهم بتعدد الالهة، يذهبون على ان الكمال، والقدرة والجمال لاله واحد. فنسبة سائر الآلهة اليه كنسبة المخلوق الى الخالق. ولا ريب ان هذا الاعتقاد، قرّب الى أفهام اعقابهم، مواعظ بولس الرسول، يدعوهم الى النصرانية، ويمثل لهم من الربوة المحاذية للاكروبول في اثينا، ومن مواقف أخرى، عظمة الخالق ووحدته.»

## انصاف المرأة

لاحظ المعرب، ان هوميروس عمل على انصاف المرأة في جاهلية بعيدة، كان فيها هذا المخلوق اللطيف رقيقاً مستضعفاً، فاشار الى هذه الناحية الجميلة في شعر هوميروس، وعمل هو بدوره على انصافها من هوميروس نفسه ومن سواه. فما ان يبدو له ان الفتنة تقوم بين اليونان والطرواد بسبب هيلانة وان غضب الالهة يحل على اليونان بسبب «بريسا» سبية اخيل، وابنة احد كهنة الطرواد، حتى يهتف في ألم: «لست ادري»

أهي سُنّة في خلق الله ام تحامل من المشترعين والشعراء ، ان تعزى نشأة الفتن والشرور ، الى ربات الجمال ، وبنات جنسهن ، منذ ان اغوت امنا حواء ابانا آدم . »

ولكنه ينبه في امكنة اخرى ، الى هوميروس منصفاً لها . وذلك في وصف هيلانة نادمة ، تعنف نفسها وتلوم فاريس ، على فعله وعلى انخذاله امام منيلاوس البطل المغوار ، والشريف الغيور ، وبعد ذلك ، انفعالها السريع وندمها على اللوم ذاته خوفاً على فاريس بعلها الجديد من التصدي الى منيلاوس بعلها القديم ، الموتور . وفي النشيد السادس تظهر هيلانة جد نادمة تتمنى لنفسها الموت ، تخلصاً من الخزي والعار . فيعجب المترجم ثانية بسلامة هذا المنطق ، وبهذا الارتفاع الى المثل الاعلى في خلق سجايا ابطال الالياذة . ويفعل فيه هذا الشعور فعل خمر الوليمة بصاحبها ، فيحس احساس هوميروس وتسمو ترجمته في هذا النشيد الى قمة الشاعرية والفن . ثم يرى في وداع هكطور لزوجه اندروماخ ، مظهراً آخر ينصف فيه هوميروس المرأة ويعلي قدرها فيقول : اوليس من النساء ايضاً من يسعرن افئدة الرجال بنار الحمية والتفاني بحب الاوطان ؟ فقد رأى هكطور فقد اهله كلهم ، وكل شيء هيناً عند تصور زوجته الامينة سبيّة ذليلة . فشأنه في هذا الموقف شأن عنترة عندما يصيح :

لهفي عليك اذا بقيت سبيّةً     تدعين عنتر وهو عنك بعيدُ

فاندروماخ مذكية نار الحمية في قلب هكطور ، حامي ذمار الطرواد ، اشبه بعبلة تدفع بعنترة الى خوض غمار الوغى ، حامياً ذمار بني عبس واتباعهم .

إن هذه الناحية لمن أهم نواحي شرح الالياذة ، لاسيا ، وذاك الجو فسيح الخيال ، مليء بشتى العقائد . فاننا بعد ان عرفنا ان هوميروس جمع الى معتقدات قبائل الاغريق المتعددة ما اقتبسه من العبرانيين والهنود ، والفينيقيين ، والحثيين ، وغيرهم من امم الشرق التي اتصل بها سفراً ، واطلاعاً ، ورواية ، نستطيع ان نختار من الالياذة ، مجموعة نادرة ، من مألوف ، وغريب ، وطريف ، ومستهجن ، ومستحسن من عقائد ، وعادات الامم التي سبقت زمن الالياذة وعايشتها ، والتي عاصرت الشاعر اليوناني الاكبر . ثم نتلمس في شرح البستاني تاريخاً لتطورها ، واقتباسها ، وتعليلاً لتحوّلها ، وتلاشي بعضها .

ففي النشيد الثاني عشر ، وقد كادت خيول الطرواد تجتاز حفير الاغريق ، يظهر عن يمين هكطور ، بطل الطرواد :

نسرٌ مخالبه في الجو قد نشبت بافعوان خضيب تحت قبضته

فبعد ان يذكر المعرب تفسير حكيم الطرواد لمعنى عبور هذا الطير يجد مجالاً لحديث مسهب عن الطيرة عند الامم القديمة عامة ، والحديثة خاصة ، مورداً امثلة على ذلك من نظمهم ونثرهم . واذ يغضب النهر على آخيل لكثرة ما القى في جوفه من جثث القتلى — والنهر اله معبود يُرهب ويُقدس — يورد البستاني اساطير جمة من جاهليات الامم ، متقفياً اتجاهاتها ، ومذاهبها ، حتى زوالها ، من اغربها اساطير المصريين التي منها : ارضاء النهر ببكر حسناء كل عام التماساً لفيضانه . وبقيت هذه العقيدة عندهم حتى أبطلها عمر بن الخطاب الخليفة على يد عمرو بن العاص عندما

كان والياً على مصر . ولهذه الحادثة حكاية فكهة يضيق المكان عن ذكرها .

واما العادات ، فان اوفرها حظاً في هذا الشرح ما يختص منها بالمرأة ، كالتطيب ، وضفر الشعر ، وارساله ، وازياء الملابس ، ثم الغسل ، والندب والتفجع . فيأتي المعرب بمنتخب من وصف جميل لشعر المرأة ، وتطيبها ، وزينتها ، وملابسها ، قد ورد في اشعار العرب ، خاتماً ذلك بقول النبي : الطيب اطيب المسك .

وامّا في ما يختص بالعادات العامة ، فاشهرها استخدام النار في شتى الاغراض : الحربية ، والاجتماعية ، والدينية . فقد كانت اداة للتخاطب ، ورمزاً للقِرى ، أو إشارة لنشوب حرب ، ولمختلف اشكالها واوقات إشعالها ، رموز ومعانٍ جميلة .

ومن أطرف العادات فكاهةً ، القَسَم . فإن هيرا أقسمت برأس زوجها لتبرهن له صدقها . ويفوق ذلك غرابةً ما ذكره المعرب في شأن القسم عند بني كعب : فقد كان الواحد منهم ، يفضل رأس شيخه او زعيمه ، علىَ الله والاولياء ، والانبياء . ذلك أنه اذا ظهر كذب الحالف برأس الشيخ او الزعيم ، كان عقابه القتل السريع ، حالةَ كونه لو أقسم كاذباً ، بالله والاولياء ، فعقابه الى يوم الحشر . لأن الرهبة العاجلة بيد المخلوق ، اوقع في النفس من الرهبة الآجلة ، ولو بيد الخالق .

وللهزيمة شأنها المختلف من الاعتبار والتفسير . فهذا بطل يوناني يقول :

ليس عارٌ لا ، ولا في الليل أن يتوارى المرء من خطب بدا

فهو يستحسن الهزيمة ويفضلها على القتل ، أمّا العرب فلا يمدحونها الاّ من قبيل المزاح : تراني في الهزيمة كالغزال . على ان للعرب — حسب

تعليق المعرب – « حظاً في قولهم ، اكثر من حظهم في فعلهم » . وان صراحة اليوناني في الفرار ، لمن دواعي مزايا الابطـال باظهار الحقائق المجردة ، وإن لنا من تاريخ الامة اليونانية ومن ثباتها في الحروب ما يؤيد هذا الحكم .

## انصاف هوميروس

قامت في العصر الثامن عشر ، فئة كبيرة من الكتّاب والنقاد ، يعارضون هوميروس ، او يناصرونه . فوضعوا المؤلفات الضخمة في ابداء نظرياتهم واثباتها . ولكن واحداً منهم لم يبلغ ما بلغ البستاني في تفهم الشعر الهوميري ، وانصاف هوميروس بتلك الصراحة والنزاهة . فاذا ما نبّه الى حسنة من حسناته ، اشار اليها من سبيل واضح ، وعزز ذلك بشواهد وامثلة ناطقة . فهو اذ يلمح اناقة هوميروس في موقف غرامي جمع بين فاريس وهيلانة :

تبعته والكرى شاقها    بأمان فوق فرش قشب

يقول : « لم ارَ شاعراً جمع بين حبيبين ، ينبه الى ذلك بمثل الاناقة التي يتوفق اليها شاعر الالياذة . فان في الشعر الجاهلي العربي امثلة جمة ، يظهر فيها الفحش على عواهنه ، وكذلك في اشعار غيرهم . وفي الف ليلة وليلة من ذكر الغرام ما يخجل القارىء الاديب . بينما نرى هوميروس مع كثرة كلامه عن العشاق ، لا يجمع ذلك إلاّ في موضعين . وقد أتى

على ذلك بكلام لا تخجل من قراءته الفتاة في خدرها . »

وفي النشيد الرابع ، بعد اجتماع الآلهة للبحث في شأن الحرب ،يرجع « زفس » القدر عن رأيه ويسمح باستئناف القتال ، اذ ينكث الطرواد بالعهود . فيوجه بعض المترجمين الى هوميروس نقداً ولوماً على جعله زفس يسمح باشعال الحرب ، فيرد البستاني على هؤلاء : «لو برّ الطرواد بالقسم لكذب القدر وما هدمت اليون . فتصرف الشاعر هذا التصرف ، انفاذاً لحكم القدر . »

ولا يلمح اديبنا ابداعاً في ناحية من نواحي الشعر الهوميري حتى يشير اليها مبيناً سر جمالها . وكما انه يدافع عنه عند الاقتضاء ، ويشير الى ابداعه ، فهو ايضاً لا تقعده الصراحة عن إبداء مآخذه . يقول في النشيد الثامن تعليقاً على غضب زفس : « وكأني بهوميروس لما شرع في هذا النشيد ، كانت قريحته ملأى ، بما التقطه من الاعتقادات المنبثة في مصر ، وبلاد العبرانيين ، ومن جاورهم ، فنقلها مزيجاً مشوباً بما خالطه من خرافات القوم . » ثم يشير بعد ذلك الى مصدر كل خرافة بالتفصيل ، والى كل فكرة غريبة عن الجو اليوناني .

وحين تطير هيرا «الهواء» : امرأة زفس القدر ، ويصفها هوميروس كذا :

كفكر يجوب الشرق والغرب طارقاً     بلاداً وفيه كل ذكر لطـــارق

لا يرى البستاني بداً من الاشارة الى بلاغة هذا التشبيه فيقول :

« رأينا سائر الشعراء ، يشبهون بسرعة الطائر ، والريح والبرق ، ولكن اذا اضفنا الى تشبيهاتهم سرعة الكهرباء ، ولمع النور ، لم تكن شيئاً بالنسبة الى سرعة الفكر الذي يجوب السماوات والارض بلحظة من الزمن . »

وفي النشيد الثاني والعشرين : نهاية معارك الالياذة ، تحدو الاثرة بهوميروس الى جعل هكطور بطل الطرواد ، يفر من وجه اخيل بطل اليونان في رعب جنوني . ففي هذا المكان ، وللمرة الاولى، يوجه المعرب الى هوميروس لوماً لطيفاً : «لأن بطلاً كهكطور يتحرق نهاره وليله لقتال اخيل ثم يناجي نفسه ...

ويعول اخيراً على ورد كأس الحمام، مؤثراً الموت على الهزيمة ، ويتقدم لبراز خصمه ، ثم ما هو ان رآه حتى فر منهزماً ، لا يجدر به ان يكون بمقام هكطور ، بطل ابطال الطرواد ، وحامي ذمارهم .»

## الاثر الفينيقي والشرقي في الالياذة

لم يأت هوميروس على ذكر يمت الى الفينيقيين مباشرة الا في مواضع قليلة [1] ، نذكر منها اثنين كان للمعرب عليهما تعليق ضئيل . الاول في وصف وشاح هيلانة ، يفخر به شاعر الالياذة، كونه من صنع حسان صيدا وعليه رسم الارز :

عبق الطيفِ ومنشور الشذا  فوق أرزٍ زانها الوشيُ الجميلْ

---

[1] وقد ورد ذكر حق قدمه اخيل في مأتم فطرقل هدية للفائز بالحضر ( الركض ) فقال :

وخطر الحضر اخيل أبرزا  حقاً من اللجين كان احرزا
زخرفه ابناء صيدا وخرج  قوم فينيقيا به على اللجج .

نسجتها غيد صيدا أنقبا والفتى فاريس منها جلبا
عندما هيلانة قبل سبى

والثاني يرد فيه ذكر قدموس كذا : قال البطل اوذيس :

لما كتائبنا ثغور اسوفس حلت الى ابناء قدمس اوفدا ...

يقول المعرب بايجاز تعليقاً على الدور الاول : « ان فاريس عندما فرّ بهيلانة التجأ اولاً الى الشاطىء الفينيقي » ولا يزيد على ذلك شيئاً. اما تعليقه على ورود ذكر قدموس فهو : « ان قدموس هذا في اساطيرهم هو ملك ملوكهم ( يعني اليونان ) وحقيقة الأمر ، ان قدموس ليس الا اسم وهمي ، وابناء قدموس المذكورون ، إنما هم جالية فينيقية استوطنت سواحل اليونان وعلمتهم التجارة ، وشيئاً كثيراً من الصنائع . والكلمة فينيقية الاصل ، مادتها في العربية كمادتها في الفينيقية بمعنى الِقدَم . وقد تكون من مادة قِدم العبرانية بمعنى المشرق. فكأنهم ارادوا ان يقولوا: قدماء الفينيقيين او المشارقة فقالوا : ابناء قدموس »

يكتفي اديبنا بهذه الاشارة العامة الى أثر الفينيقيين العظيم في الالياذة ، فاسحاً للمؤرخين ، والكتاب المختصين ، المجال لبحثه . على اننا نرى ، أن من حق الموضوع بعض التوسع ، علنا نتمكن من كشف غمائم تحجب الى حدّ ، مصدر النور السني ، الذي بدّد ظلام الجهل في تلك البلاد ، وجعل من ابنائها قادة الفكر ، وارباب العبقرية الفنية الخالدة.

لا يخفى ان الاغريق كانوا من ابكار تلامذة المدنية التي نشرها اللبنانيون في العالم القديم . وكان هؤلاء البحارة الصلة الدائمة بين الفراعنة واولياء الجزر اليونانية التي دعوها : الجزر الكثيرة الخضرة . كما دعا

الاغريق لبنان «بفوني» فينيقيا ارض النخل . ولا سيا بعد ان اسس اللبنانيون ليبيا ، وترشيش لمئتي سنة وخمسين قبل هوميروس . فتغنى بهما شاعر العبرانيين الاكبر وحكيمهم سليمان . وذكرهما هيرودوتس بكر المؤرخين اليونانيين. فالبحر الابيض كان مستعمراً في ذلك العهد ومعروفاً قبل تأسيس قرطاجة وما جاورها . والاخائيون الذين كانوا يسكنون مالطة ونواحيها ، كانوا على اتصال تجاري دائم بالفينيقيين ، والمصريين . فلا بد ان تشمل تلك الصلة ايضاً ابطال الاوذيسية والالياذة : لأن جزر الارخبيل كانت لبحارة لبنان صيداً مكنوزاً ، مليئاً بصدف الارجوان

ويقول الهلينيون : ان ليس قدموس واخته اوروب وحدهما ، هما اللذان تركا سلالة ملكية في كريت . بل ان عائلات فينيقية عديـــدة استعمرت عـدا كريت ، رودوس وسنتوران وسيتير « Cythere » وكانت افروديت السيتيرية الاهة سورية اتى بها البحر المزبد الى شاطىء جزيرة بيوبولونية . وكثير من تلك الجزر لا تزال محتفظة باسمها الفينيقي

ففي زمن نبوغ هوميروس كانت بذور الفينيقية قد نمت واخضل نباتها وانتج يانع الثمار . فاغتذى منها هوميروس ومعـاصروه . وكان فخراً لهم ان يتغنوا بذكر اقرب من حمل اليهم بذور النور والمدنية :

عبق الطيف ومنشور الشذا فوق ارز زانها الوشي الجميل

أليس هذا الطيب الذي يفوح من وشاح هيلانة ، مثيلة الارباب جمالاً ، والتي حلت ردحاً من الزمن في ساحل لبنان حين فرّ بها فاريس ، أليس هذا الطيب ممّا حمله ابناء لبنان من الهند او حمله اليهم من هناك اخوانهم سكان الجزيرة العربية ، فاعملوا مهارتهم الصناعية فيه ، فصار

عنبر الآلهة ؟

ولعمري ، من هو ذلك الواشي اللبق الذي ينسج الارز وشاحاً كأنه السابق الى جعل هذا الرسم شعاراً للبنان خالداً ؟

وخلايا اليونان ، تلك السفن الحربية ، جبارة ذلك الزمان ، العديدة المجاذيف ، ذات المقدمات الصلدة ، تشق بحيزومها ما هو دونها بناءٌ من صنع مقتبسي بناء عمارات البحار ، اليست هذه السفن من صنع ابناء قدموس وتلاميذهم ؟

وتلك الدروع العجيبة النقوش ، والسيوف المرهفة الموشاة ، والرماح اللدنة ، والكؤوس ذات النقوش الفنية ، اليست من نتاج الحذق اللبناني او من أثره ؟ ثم ما رأيك بعلم الفلك ، ومكانه من الالياذة ، وما يتبع هذا العلم من تكهن وتنجيم ، أليس من مقتبس الفينيقيين عن البابليين ، ساروا به بعد هذا الاقتباس الاشواط النائية ونفحوا به كلّ شعب كانت لهم به صلات ؟

ولا بدّ من الاشارة الى ان المركبات الحربية التي كان يستخدمها ابطال الالياذة في حروبهم ، انما هي نفس المركبات التي كان يعلوها الحوذي والفارس معاً في عهد رعمسيس الثاني . فهي اذن اثر مصري دون ما نزاع .

وللشرق اجمع اثر بليغ في مادة الالياذة ، كما ان له اثراً غير يسير في حكاياتها الفكهة ، وتشابيهها الشعرية الفاتنة ، وذلك مما اقتبسه هوميروس عن ملاحم المصريين ، والهنود ، والفينيقيين ، وتوراة العبرانيين . وقد اشار البستاني الى ذلك في موضعه .

على ان فكتور بيرار الكاتب الفرنسي ، صاحب كتاب: « انبعاث هوميروس » يضيف الى ذلك ما تعريبه : وما وصف البحر في هديره وهياجه ، واندفاعه وارتداده ، وزركشة شاطئه بالزبد الراغي ، سوى اثر لبحارة فينيقيا في الشعر الهوميري .

بيد أننا ونحن نعمل على مسايرة بيرار في بعض رأيه ، نرى ان كل شاعر مطبوع ، او كاتب اديب من سكان الشواطىء يحسن وصف طباع البحار في مختلف حالاتها . وان هوميروس ، خالق اروع الرموز في احاديث الارباب ، لا يعجز عن الابتكار في تمثيل اطوار البحر في جزر الارخبيل ، بابرع ما يكون من التشابيه الحية .

وللفينيقيين على الالياذة والاوذيسية أيضاً فضل الحياة والبقاء ، الى يومنا هذا . لان الاغريق : ابكار تلامذة صور وصيدا ، ما كادوا يتعلمون الكتابة الفينيقية ، حتى بادروا الى تسجيل اثمن آثارهم واجلها حكمة وتاريخاً . فلا نزاع اذن بان تكون الالياذة ، بكر الآثار التي كتبت بالحرف الفينيقي .

## تفسير الرموز الهوميرية

يمتاز الانشاد الهوميري برموزه الغنية . فلا يخلو نشيد من حكاية رمزية ، قد يمرّ بها المطالع مر الاصبع بالماء الصافي ، القراح ، اذا هو لم يدرك ما يرمي اليه الشاعر . وربما ضاع عليه في اغلاق تفسيرها معنى النشيد

بكامله . وان هو وُفق الى ادراك المعنى شاملاً ، فقد تلك النشوة التي يحسها من يشعر بروعة المعاني الهوميرية الكامنة في تلك الرموز . فعمل البستاني ، وهو الاديب الساهر على تأدية رسالته كاملة ، على تبديد الغمام من ذلك الافق المليء بالروعة والسحر . ولعل التقارب بين العبقرية اللبنانية والعبقرية اليونانية ، كان منه هذا النفاذ الى اعمق ما وضع هوميروس من رموز في اناشيده . وهكذا استطاع البستاني ان يفسر كل رمز ، مبيناً غاية جماله . فتفوق بهذه الناحية وغيرها على جميع نقلة الالياذة الى اللغات المختلفة .

هذا منيلاوس يظهر على فاريس في البراز ، ولكن الزهرة تخلصه ثلاثاً . كذا :

حجبته في ركم الضباب محلة ‎ ‎ ‎ ‎ اياه بالاطياب في حجراته

فيقول المعرب : « نرى هوميروس يشير الى الحقائق اشارة رمزية زيادة لرونق كلامه ، ومراعاة للتصوير الشعري ، وفقاً لمعتقدات زمانه ، فيحل الآلهة محل البشر في كل عمل خطير لتزول الغرابة ويقرب تقدير الامكان . فقد لازمت الزهرة فاريس مخاصة اياه من الموت ثلاثاً . وانما حجبته في ركم الضباب .. اشارة الى الغبار المتطاير من اصطدام الجيشين . »

وفي النشيد الرابع يجتمع الآلهة في ذرى الاولمب للبحث في شؤون الحرب . فيحيط البستاني بكل ما يرمز به آلهة اليونان في احاديثهم . فزفس « القدر » يريد اخماد النار ، وزوجه هيرا « الهواء » تريد اشعال الحرب ونصرة اليونان . وتتكلم كثيراً . في حين ان اثينا تلازم الصمت . والصمت جميل اذا نسب الى الاهة الحكمة . »

ويتغلغل اديبنا في اقاصي الخيال الهوميري كاشفاً عن كل جوهر مكنون : « تتصدى الزّهرة للبطل اليوناني ذيوميذ ، فلا يحفل بها ، بل يتحامل عليها ويطعنها ، لان اثينا فتحت عينيه فأبصرها واثارت جأشه فرماها » فيفسر البستاني ذلك بقوله : « هذا رمز لطيف على ان المتذرع بالحكمة يقوى على كبح الشهوات مهما اشتد به الهوى.»

وهنا ايضاح عذب ، سهل التأويل ، لا يخلو من فكاهة :

يفر ذيونيسيوس ، باخوس اللاتين ، اله الخمر من وجه هيفست : اله النار فيلجأ الى ثيتيس احدى بنات الماء كذا :

فضمته ثيتيس في صدرها تخوّله الامن في بحرهـــا

التفسير : « ان هذا الضم ، اشارة الى مزج الخمر بالماء »

وفي النشيد الثامن عشر ، وصف رائع للدرع التي صنعها هيفست اله النار لآخيل بطل الاغريق . وعلى هذه الدرع نقوش عجيبة ، تمثل خرافات واعتقادات جمة ، اتى المعرب على تفسيرها في اوضح بيان .

ولا يحيط بمجموع تلك الرموز الا المطـالع المستقصي ، فيقف في ذهول لدى الخيال الهوميري الذي قوّاه فقد البصر الحسي ، واطلقته خرافات العصور القديمة . ويعجب بثاقب ادراك من احاط بها ، وابرز ما ابهم منها في عصر ضعف فيه الخيال ، ودنا الناس والعلم من الحقيقة المجردة .

وكما ان هوميروس اتى المعجز في ابراز مميزات ابطـاله ، ولم يدع خلة ، خاصة او عامة ، تظهر ميزة بطل من الابطال ، وتتم معنى حادثة من الحوادث ، الا جاءَ بها ، هكذا لم يترك البستاني معنى دون شرح ،

ولم يلمح ميزة للشاعر الا ابرزها ، ولا رمزاً يمر دونما تفسير ، ولا قصة دون ذكر اسباب خلقها ، واظهار مكانها من المعنى المراد .

فان قرأت هوميروس باليونانية ، عشت في عالم ابطال اليونان ، وتمثلت لك تلك الرموز ونتائج معتقد بني الآلهة .

ولكنك ان قرأته بالعربية ادركت كل ما ادركته باليونانيـــة . ووقفت الى ذلك ، على قسط وافر من آداب سائر امم الجاهلية وعقائدهم. يطل بك شرح البستاني على عالم زاخر بعظيم الغنى ، تأخذ منه ما تشاء وما تستطيع جناه ، وتترك لغيرك ما يشبع نهمه . ثم تحس بعد ذلـك نشوة خامرة . اذ ترى ان لامتك العربية عامة ، واللبنانية خاصة ، القسط الاوفر من تلك الجواهر السنية .

# شاعرية البستاني في التعريب

لقد اجمع الادباء على الحكم ، ان الشعر أرقى فنون الادب . فهو الخيال والعاطفة ، يذوبان في نغم مبهم ، يختلج في الخاطر حيناً ، ثم ينتهي بقرار متسق جميل . وما الاوزان الشعرية ، سوى الجسم المادي لتلك النغمات الحية . أما مولدات الشعر ، فانما هي عوامل نفسية ، أو تأثرات من خارج ، تنقلها الحواس المادية الى نفس الشاعر ، احساساً مائجاً ، يخلق خطوطاً راقصة ، تكون بعد حين خيالات مبهمة ، لا تلبث ان تتحول الى نغم يتهادى في خلد الشاعر ، الى ان يجسمه الادراك في وزن ملائم ، وقرار يرتاح اليه ذلك النغم المائج . وبتكرار هذه الحال ، تعدد أبيات القصيدة .

وان كان ثمة من وحي ، فان هذه الحال في الشاعر ، هي الوحي بالذات . وبمقدار رقي الاحساس ، وائتلاف امواج الخيال ، وصفاء اتساق النغم ، يكون رقي الشعر الى المثل الاعلى ، فيهيمن عندئذ على سائر فنون الادب .

وسواء كان الشعر قصصياً ، ام غنائياً ، فلا يخرج عن كونه مجموع أنباض موسيقية ، وليدة العاطفة والخيال ، والفكر . هذا ، اذا لم يقصد بالشعر الكلام المقفى الموزون .

فاذا كان الشعر وليد الحال التي ورد وصفها في الانسان الشاعر ، فانها تقتضي من المتذوق حساً مرهفاً ، وحال صفاء شبيهة بالحال التي ولد فيها الشعر . فاذا ارتقى احساس المتذوق الى الجو الذي خلقه الشاعر فقد عانق شعوره تلك الروح ، واندمج فيها ، واصبح في تذوقه شاعراً حساساً .

على ان فئة من متذوقي الشعر يملكون هذه الصفة وهذا الطبع ، وهم في الغالب شعراء : يختلف انتاجهم باختلاف مواهبهم وملكاتهم الفنية .

فالبستاني اذن ، فرد نابه من افراد هذه الفئة ، يقرن الى الشعر ارقى الفنون الجميلة من موسيقى وتصوير . فاذا نحن اضفنا الى هذه المعارف والملكات ، شغفه العظيم بالشعر الملحمي ، ولا سيما الرافل منه بطارف القدم ، الموشى باعتقادات جاهليات الامم واساطيرهم الرائعة ، سهل علينا ان نلمس شاعريته الحية في تعريب الالياذة .

واذا عرفنا أنه قضى ثمانية عشر عاماً يعمل في تعريب هذه الملحمة ، أدركنا أنه كان يتحين الحالات النفسية الملائمة للاتصال بذلك الجو البعيد ، الغني برموزه .

وكأني به ، في قراءاته الاناشيد الهوميرية ، كان ينساب احساساً ، وخيالاً في اغوار تلك الاجواء السحيقة . واذ يتم ذلك الاندماج الرائع ، تتحول الترجمة الى الهام ، يعمل في اخراجه فكر نافذ ، وعلم غزير الالوان ، تحت سيطرة ذلك الفن البارع .

فاذا اصغيت في مطلع النشيد الثالث الى جلبة الجيوش ، ممتزجة بقرقعة العجال ، وتمثلت ذلك الزحف الخاطف ، فما اخالك الا منتفضاً

حماساً ، كأنك تحس ذلك ، رؤية ولمسا :

نظم القواد سرى الجند    يحمى الجيشين على الحد
زحف الطروادة عن بعد    بصديد عـــال مشتد
ودوي يقصف كالرعد

واليك رقة وانسجاماً في وصف جمال هيلانة ، اصل الفتنة :

ليس بدعاً ان كان هذا سناها    وعليها تلاحمت امتان
برزت ربة بوجه صبيح    غير ان البلاء بالويل دان .

ولنلاحظ ، انه عدل في نفس النشيد عن الخبب : الوزن المناسب لزحف الجيوش ، الى الخفيف اللين لتمثيل الوان الجمال ، لان النغمة التي تألفت في خلده خلقت لها هذا السبيل .

ثم أصخ ، تسمع تكسر سيف منيلاوس ، وتأمل ، يتمثل لناظريك الشرر يتطاير فوق جبينه :

وتكسر الصمصام وسط يمينه    واطار فوق جبينه شذراته

اوما نخال هوميروس نفسه ، عربياً صادق اللهجة ، يدوي صوته صحراوي الانشاد حين نقرأ :

وفوق الصدور الطامحات تألقت    صوارمهم والسمر أي تألق

وهذه صور رهيبة ، في روعة من بلاغة الايجاز ترينا المدى الذي بلغه المعرب من التحليق في الآفاق الهوميرية ، يقبض فيها على الاشباح ، وينقل اصوات الكر والفر ، واصطدام البلامق ، ممتزجة بزفير الجرحى ، ونعرات الفتك والتشفي ، ونشيج الدماء اثر الطعن الحامي ، تسيل وتتجمد

على الارض المحددة الوعرة :

طعان تلاقى في صدور تدججت　　وكر يواري يلمقاً فوق يلمق
وزفرة مقتول ونعرة قاتل　　وسيل دماء بالاسنة مهرق

وتطل شكة البطل ذيوميذ ، خلال ردائين يوناني فعربي ، فتبهر بلمعانها العيون ، عبر آلاف السنين :

ككوكبة الخريف قد استحمت　　بلجّ البحر وامتطت الرفيعا

في النشيد السادس ، اعمق اناشيد الالياذة اثراً في النفس ، لا سيما وصف مشهد هكطور يودع زوجه الامينة اندروماخ وطفله الوحيد . في هذا الموقف العاطفي تأخذ البستاني نشوة الاحساس ، فيتجنّح بالخيال ويجوب الافق الهوميري ، ممثلاً لنا ذلك الجو الغني ، تمثيلاً صادقاً . فيتجسم لنا هكطور بطلعته المهيبة ، وسلاحه اللامع ، يلهبه الوجد على زوجه وطفله . ويرينا أندروماخ تنتفض ولهى ، اذ تتصور زوجها قتيلاً ، فيتراءى لها الهوان ، وتحس الارمال ، وذلة ابنها لطيماً ، بعد ذلك العز الباذخ ، فتود عندئذ لو تستطيع ان تشق جوف الارض بيديها ، وتتوارى في ثناياها ، قبل ان يحل ذلك الخطب الرهيب :

يا شقي البخت ذا البأس الوخيم　　سوف يلقيك بلجات الجحيم
ولي الارمال والطفل يتيم
سوف تلقاك جماهير عداك　　وتلقّيك مضاضات الهلاك
فلمن ابقى اذا مت — سواك
آه لو ألقى الى جوف الثرى　　قبل ان تُلقى الى الارض قتيل

وتجيش في صدر هكطور ثورة الاباء اثر بكاء زوجه فيصيح :

بين اقوامي وربات السدول لستُ أرضى العار إن تعل النصول
او عن الهيجاء يثنيني الخمول
وانا دوماً بصدر الفيلق شأن فريام وشأني اتقي
وأفي قومي بجد المخفق

ويرى عزمه كليلاً، ينبئه الشؤم بهدم إليون، وقتل الاهل، وسبي النساء، وذبح الاطفال، وكل ذلك هين لديه.

بيد أن الخطب كل الخطب آه أن تكوني في سبيات العداه
تذرفين الدمع عن مرّ الحياه
تستقين الماء كالعبد الاسير من مسيس او ينابيع هفير
تنسجين القطن والقلب كسير
كلّ بؤسٍ، كل رزء وعنا كلهُ ان حل ذا الرزء قليل

ثم يتسعر شوقاً الى ورد الموت الزؤام اذ يتمثلها في شماتة اعدائه :

فتصيحين وتصلين السعير تستجيرين ولكن من يجير
ان يكن هكطور في الترب قرير
وانلني ن‍ا الخطب البلا قبلما زوجي للسبي تنيل
ثم مد اليد للطفل فصد جازعاً لما رأى تلك العُدد
من نواصٍ سابجات وزرد
وبصدر المرضع الطفل ارتمى فـــإليـــه ابواه بسما
وبرفق عنه هكطور رمى

ذلك المغفر والطفل بدا   بيديه بين تقبيل يجيل

هذا مشهد من اندروماخ العربية ، التي ليست دون اندروماخ راسين الشهيرة ، جمالاً ، وروعة ، وحياة . وما اخالها تكون دون تلك تأثيراً وشهرة اذا ظهرت على مسرح التمثيل .

واذا امعنا النظر في الصورة الآتية ، وادركنا ما فيها من حياة ، واستمعنا الى لغب هكطور كاغضف ضارىء ، والى كبكبة ذيوميذ المتذعرة اقررنا بتفوق هذا التعريب ولمسنا فيه شعراً حياً :

وهكطور صدر الجيش يجري ويلغب   ويكسأ في الارداف من يتعقب
كأغضف هول قد تأثر ضيغماً   تذعر أو خرنوص بريكبكب .

وكثيراً ما يبدي البستاني اعجابه ببدائع الشعر الهوميري ، وفي ذلك اعجاب لنا بالشاعر العربي ، وفنه الراقي ، اذ يسكب كل دقائق الحياة في الصورة المنقولة . فكل ذرة ترتعش ، وكل لمحة تطاول الدهر البقاء ، وتجتذب الاحساس . وقد تخلد الصورة بالحياة النابضة ، ولو مثلت الموت والفناء . فذا بطل يرد حتفه ، ويخلد الفن البارع فترة احتضاره :

فصل لما خر والنقع جرى   يكسو بديع الشعر لوناً أحمرا
كأنه فرخ من الزيتون   غض على مجتمع العيون
ينعشه النسيم والزهور   بيضاء في فروعه تمور

وهذا آخيل بطل اليونان — كأنه في صدر الشاعر العربي — يغلي وعيداً ، وينساب دموعاً ، في تفجعه على حبيبه فطرقل ، وقد تمزق ندماً ،

وتحرق غيظاً :

لكن اذا اخترمت أبطال صيدهم ما همني والفتى فطرقـــل مخترم
فطرقـــل ارفعهم شأناً واعلقهم بمهجتي ، لا تضاهيــه قرومهم
بهـامتي كنت أفديه فوا لهفي عدمته مثلمـا كبارهم عدموا
فطرقل أودى ولم ابرز لجانبـــه أقيه من صدمات تحتها اصطدموا
فالموت، فالموت لا عَودٌ ولا وطن اذ لم اهب الى الهيجا أصونهمُ .

وبعد هـذا التفجع الصاخب ، نهنهة ، ثم صفاء . وذلك في وصف ثيتيس : احدى بنات الماء وام البطل آخيل ، هابطة من العلاء تحمل الدرع العجيبة لولدها الحزين . هذه الصورة الحنون تخلق في خلد الشاعر العربي موسيقى هادئة في وزن يتأرجح فيه النغم لذيذاً ، ناعماً :

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد من يمه يبرز فوق العبـــاد
يرمقه معبودُها والعباد
حتى انبرت دون الخلايا ثتيس في تحف الرب هِفستٍ تميس
فأبصرت آخيل فوق الثرى معانقاً فطرقل واري الفؤاد

وليست هذه الشواهد الحيّة ، التي اخترناها دليلاً على شاعرية البستاني في تعريب إنشاد الالياذة ، الا مراقيَ تسمو بنا تدريجاً الى القمة التي بلغها شاعرنا في مرافقته الوحي الهوميري في اسمى اجوائه واصفاها . فقد خفقت اجنحة هوميروس في اعلى الاجواء في النشيد الثاني والعشرين من الالياذة . اذ جعل كل ما تقدمه من الاناشيد توطئة له. ففيه انتقام آخيل ومقتل هكطور ، ووفاه اندروماخ ، وتحسر هيلانة ، وتفجع إيقاب ،

وهوان فريام وما وافق ذلك من موارد الشعر ، مما أهاب بالبستاني ان يهتف : « إن في هذا النشيد من الشاعرية ما يصعد الى قمم الجبال، وينحدر الى اعماق القلب البشري ، فيثير العواطف ، ويهيج البكاء . »

وإن لنا في ما سنقدمه من شواهد مجزوءة من هذا النشيد أوضح دليل على تلك الشاعرية التي ابقى التعريب الملهم على نضارتها ، وخصب حياتها.

يأبى هكطور ان يلين لتوسل ابيه فريام وامه ايقاب في العدول عن مبارزة اخيل بل يقول :

وربّ معارضٍ جحدٍ امام الغيد والعمدِ
يقول عتوّ هكطور المكابر علة الشددِ
فكلاّ لن اعود إذن فاما قتل آخيلٍ
واما مصرعي بالعزّ في ذودي عن البلد .

يتبارز هكتور وآخيل ، فتتكسر السيوف ، وتطير فلذاً مشعة . ويكل البطلان في البحث عن مطاعن . الى ان يوفق آخيل بعد جهد انفاذاً للقدر :

فابصر بعد حين نحره برزت مفاصله
فبين الجيد والكتفين بادره بطعنته
فغاص سنانه في مخرج الارواح منتصبا
ولكن في مجاري الصوت والانفاس ما صدرا
فخر وللثرى ضرجا

يتضرع هكتور وهو يحتضر الى اخيل ليجود بجثمانه على ابويه العاجزين فيأبى :

وددت لو َاني غضبا    بلحمك اقتل السغبا
لما جرعتني غصصاً    وما اورثتني كربا
الا متصاغراً وانا    اموت اذا الحمام دنا
وروحي حين يقضي امر زفس تفارق البدنا
وجرّ سنانه من نحره يلقيه في طرفٍ
وجرده السلاح فنال أبعد بغية ومنى

يأمر اخيل فتية الاغريق ان يسيروا بجثمان هكطور منشدين :

قتلنا القرم هكطورا    وعاد الجيش منصورا
فاين فتى الطراود من    كربٍ كان مقدورا

فريام من على البرج يشاهد في هلع مصرع ابنه والعبث بجثته . فيغالب الجميع ليلحق به في يأس قاتل ، مستحلفاً هذا وذاك ، متمرغا على الثرى يصيح :

بحقكمُ دعوني ابرح الابراج منفردا
الى فلك العداة ولو بعادي الآن ساءكم
لدى ذيالك العاتي بشيبي وانحنا ظهري
أذل فربما لهما بعين عناية نظرا

وتصيح امه ايقاب والهة :

بنيّ علام أشقى بالحياة ، وألتظي نارا

وانت بنيّ ، مت وكنت في يومي وفي ليلي
فخاري وابتهاجي ،وابتهاج جميع من حضرا

وكانت اذ ذاك اندروماخ تنسج ثوب برفير ، وجواريها تحمي القدر ليغتسل زوجها البطل ، فما طرقت اذنها الولولة حتى تلاشت ركبتاها ، وسقطت الوشيعة من يدها فاستندت على جواريها ثم تسلقت السور في تساند وتهالك ، وسرحت النظر في السهل ، فلاح لها هكطور قتيلاً تجره جياد آخيل :

رأت وجفونها انطبقت وفي انفاسها شهقت
واهوت فوق وجه الارض ، لا حساً ولا بصرا
ومن فوق الثرى انتثرت حليّ الفرع وانتشرت
جدائل طرة وضفائر في وفــرة وفرت
وهدّاب الذوائب والشباك وخير مقنعة
لها من قبل افروديت يوم زفافها ادخرت
وخفت وانبرت من حولها اخوات هكطور
وكل نساء اخوته تجل الخطب مذ نظرت.
على راحاتهن رفعنها والنفس زاهقة
وما لبثت ان انتعشت وغيث دموعها انهمرا

تندب حظه وحظها ، ناظرة الى الطفل في لوعة جارحة :

وهذا الطفل في المهد نتاج الغم والجهد
فلن تجديه نفعاً انت وهو النفع لن يجدي

فان هو من خطوب الدهر ينجو ، كم بلا وبلا
يحيق به وكم عات تجاوز خطة الحد
تعيث به مطامعه فيسلبه مزارعه
وما ان لليتيم يُرى صديق صادق الودّ
فيطرق ذلة وتسيل ادمعه ، ويذهب في
طلاب رفاق والده اذا ما ذل وافتقرا .

تقابل بين ما انتاب زوجها من ذلة وبين عزه السالف :

وعرياناً لدى السفنِ غدوت بزي ممتهنِ
وكم من حلة لك في الديار تجل عن ثمنِ
سأطرحها جميعاً لليب وليس لي اربٌ
بها من بعد ان حُرمت على ذيّالك البدنِ
لتذهب حرمةً لك من لدى الطرواد محرقةً
لذودك طول عمرك عن ذمار الاهل والوطنِ .

لم نشر الى موطن دون آخر ، من مواطن الجمال في هذا النشيد ، لان كل بيت فيه يكوّن جزءاً من مجموعة إبداع خالب .

واما حظ البستاني في هذا الابداع ، فانما هو شعورنا ، نحن قراء الالياذة العربية ، بكل ما يشعر به اليوناني في قراءة هوميروس . فاننا نحس ، ونتصور ، ونفخر ونتأوه ، ونذرف الدمع ، ونحيا في ذلك الجو البعيد ، مستسلمين الى السحر الكامن في ثنايا السطور . ثم لا نعلم ونحن في نشوتنا الحالمة ، أتلاشى البستاني وكل ما احاط بحياته ، فولد هوميروس

ولادة ثانية شاعراً عربيـــاً في مطلع العصر العشرين . ام تلاشى شاعر اليونان الاكبر ، فلم يعد امامنا سوى الياذة محضة العروبة .

ولو لم يعمد البستاني الى تعريب الياذة هوميروس ، لكان لنا — لو توفر له جو عربي ملائم — ملحمة عربية الخلق تجتاز مدى سحيقاً من الزمن . ذلك ، كون شغفه بالشعر الملحمي ، وسعة اطلاعه على مصادره، وغناه باللغة العربية والفنون الجميلة ، الى همة رفيعـــة وطول أناة ، ومضاء عزم . كل هذه العوامل متحدة مندمجة ، حرية بان تخلق ملحمة فذة رائعة .

# ملخص اناشيد الالياذة

# ومختارات منها




بعض ابطال الالياذة

اغاممنون آخيل نسطور اوذيس ذيوميذ فاريس

# النشيد الاول

## خصام اخيل واغاممنون

لما اكتسح الاغريق «اليونان» بلاد الطروادين ، عاثوا في مدائنهم ، وسبوا نساءهم ، وحاصروا إليون عاصمة بلادهم عشر سنوات . وكان في جملة السبايا فتاتان، تملّك الاولى منهما اغاممنون ملك ملوكهم. والثانية اخيل ، ملك المرميذونة ، وبطل الاغريق على الاطلاق . فحمل خريس كاهن افلون الهدايا الى معسكر الاغريق فكاكاً لابنته خريسا احدى السبيتين .

وبذلك افتتح هوميروس اناشيده . فمال الزعماء الى اجابة ملتمس الكاهن ، وابى اغاممنون .

فانثنى الكاهن يستغيث أفلون ، فضربهم الاله بوباء . فخرت جندهم قتلا . ثم اجتمعوا في مضرب اخيل وبحثوا الامر فاذا بالعراف كلخاس ينبئهم بنقمة افلون . ولا سبيل الى استرضائه الا برد ابنة كاهنه . فعظم الامر على اغاممنون اولا ، ثم ما لبث ان اذعن . على ان تساق اليه سبية اخرى بدلا منها . فاختصم واخيل ، ثم توسط بينهما نسطور الحكيم . ولكن المجلس ارفض على غير وفاق. ثم ردت خريسا، واحتفظ اغاممنون بسبية اخيل . فشق الامر على اخيل فاعتزل القتال ، وتفجع . فجاءت

امه اليه من لجة البحر . فاستفضته الخبر . ورقيت الى زفس ابي الآلهة تلتمس الاخذ بيد اخيل والانتقام من الاغريق ، فوعد زفس بخذلهم واعلاء شأن الطرواد الى ان يطيب اخيل نفساً. ففطنت هيرا زوجة زفس لما جرى من الحديث بينه وبين ثيتيس ، فهمت باعتراض عليه ، فزجرها . وبادر هيفست فسوى الخلاف وادار السلاف . فظل الارباب في طرب ونعيم الى ان خيم الظلام .

تستغرق وقائع هذا النشيد اثنين وعشرين يوماً . ومجرى الحوادث في معسكر الاغريق ، ثم في بلدة خريسا ، واخيراً في الاولمب .

## من النشيد الاول

ربة الشعر عن أخيل ابن فيلا ... أنشدينا واروي احتداماً وبيلا

ذاك كيدٌ عمّ الاخاء بلاه ... فكرام النفوس ألفت أفولا

لاذيس انفذن منحدراتٍ ... وقرى الطير والكلاب القيولا[1]

ثمّ ما شاء زفس من يوم شبت ... فتنة بالشقاق تنذر أولى

بين أتريذ سيدّ القوم ثارت ... بصلاها والمجتبى آخيلا

أيّ ربٍّ قضى ؟ فما غير فيبو ... سَ وزفسٍ ونكلا تنكيلا

فابن لاطونة باتريذ رام السوء ... مذ سامه جفاء ثقيلا[2]

---

١ اذيس : الجحيم .

٢ ابن لاطونة فيبوس نفسه « افلون » . واتريذ اغاممنون ملك ملوك اليونان .

فدهى جيشه بشر وباءٍ فغدت جنده تخر فلولا
مذ أهان المليكُ كاهنه الهم خريساً ، لما أتى الاسطولا
يفتدي بنته بغرّ الهدايا وجميع الاغريق يدعو ذليلا

بعد وصف الهدايا ، وتهديد القوم بغضب فيبوس فيختتم الكاهن قوله:

اقبلوا فديتي وردوا فتاتي فجميع الاغريق ضجوا قبولا
غير أن المقال ساء اغاممنون أترا فرده مخذولا

احتدام آخيل :

فأحزن آخيلٌ وقد ضاق صدره ونازعه في رأسه عاملا فكرِ
أعن جنبه يستل ماضي عضبه ويأخذ في تشتيتهم عائل الصبرِ
ويصرعُ أتريذاً على الفور ام يرى سبيلاً لكظم الغيظ في اهون الامرِ
واذ كان في ما ينتوي متردداً نضا سيفه من غمده وهو لا يدري
رأى واذا من جنة الخلد اهبطت أثينا وجرته باشعاره الشقرِ

طارت اثينا الى الاولمب ، ومال اخيل الى اغاممنون مهدداً ، شاتماً :

يا مليكاً بنشوة الراح مثقلْ يا لحاظ الكلاب يا قلب إيّلْ
لم تكن قط كف خوض المنايا بين قوم الاغريق ان يعلُ قسطل
لم تقد قط صيدهم بكمين كل هذا يريك موتاً معجل
انت ذا الشعب قد فرست بظلم حيث بين الانذال كنت المفضل
لك مني نبوءة ويمين أثقلت في ذا الصولجان المبجل
قسمي وهو إلوة لك كبرى سوف يبكي آخيل جيش منكل
حين هكطور فيه يبطش بطشاً وتروم الذياد عنه وتفشل

يهدد ويتوعد ، ثم يدعو امه ثيتيس ، احدى بنات البحر :

فغادر الربع آخيل وســـار الى　　جرف الخلي بفيض الدمع كالديم

وصاح يبسط ذرعاً وهو يحدق في　　بحر طغى مستبداً رحمة الرحم

« اماه ثيتيس مذ اولدتني وقضى　　زفس بقصر حياتي فليصن شيمي

عليّ ضن بنذر المجد حيث اغا　　ممنون في طوله يسطو على حشمي »

هبت وقد سمعت من لجها صعداً　　مثل الدخان من الامواج كالنسم

فعانقته وصــاحت : « يا بني　　علامَ البكاءُ فبح بالضيم لا تجم »

مجلس الآلهة بعد الوئام . فيبوس يقدم الشراب والسلاف :

وادار السلاف دوراً على الباقين　　يسقي يمينهـــم فشمالا

مقبلاً يستقي من الدن صرفـاً　　وهو يجري ويحسن الاقبـــالا

فعـلا الضحك بينهم اذ رأوه　　هارعـــاً فيهم بقصرٍ تعالى

لبثوا يومهم بين طعـامٍ　　يؤتى وحـــظٍ توالى

وفيبوس يضرب قيثاره　　والحور ينشدن بهجةً وجمالا

واذا الشمس بالحباء توارت　　كل ربٍّ مضى يروم اعتزالا

# النشيد الثاني

## سياسة اغاممنون

سهر زفس ليلته يفكر بالتنكيل باليونان، اعلاءً لشأن آخيل. فارسل طيفا مموهاً يحث اغاممنون على الحرب ، بغية ان ينال وجيشه الفشل ، فيرجعوا الى استعطاف اخيل. ولم يكن اغاممنون مؤمناً بانقيادالبونان لدعوته ، بسبب الوباء وتثبيط اخيل لقومه. فجمع القواد وتظاهر باليأس وبالعزم على الرجوع الى الديار . فوافقوه وجرى فريق منهم الى سفنه يتأهب للاقلاع بها . فاعترضهم اوذيس عملاً بامر اثينا ، واجتز صولجان السيادة من يد اغاممنون ، وراح يستنهض الهمم حتى عاد بهم الى مجلس شوراهم. فخطب واطنب بذكر مواعيد الآلهة لهم بالظفر. ثم تلاه نسطور الحكيم ، فشدد وارشد ، واشار بحشد الجيش كتائب كل منها تحت قيادة اميرها . ثم اصدر اغاممنون امره بالتأهب للقتال. فضحوا بضحاياهم وقاموا الى السلاح. وهنا اخذ الشاعر بسرد اسماء الملوك والامراء وتعداد سفائنهم ، وذكر بلادهم وقبائلهم . امـا زفس فبعث بايزيس الى فريام ملك طروادة توقفه على ما كان من عزم الاغريق . فعبأ هكطور جند الطرواد وانصارهم على هضبة محاذية لاليون . وتربص فيهم الى ان تلتحم الحرب – ثم ختم هوميروس نشيده بسرد قبائل الطرواد وحلفائهم .

يستغرق هذا النشيد قسماً من اليوم الثالث والعشرين . ومجرى وقائعه في معسكر الاغريق على جرف البحر . ثم في معسكر الطرواد .

## من النشيد الثاني

الطيف الذي بعثه زفس الى اغاممنون – «أتريذ»

مطلع :

دجا الليل والارباب والناس نوّم ولكن زفساً نابذ سنة الكرى
بإعزاز آخيل وإهلاك جملةٍ لدى سفن الاغريق ظلّ مفكرا
فعنّ له ارسال رؤيا خبيثة لاتريذ تغريه بأمر تصورا
فنادى أنيروساً وقال: «ألا فطر ألا ايها الطيف المداجي مبشرا
الى سفن الاغريق لج خيمةً بها أقام اغاممنون أنبىء بما ترى
أعد كل ما القيه فليمض مقدماً على الحرب وليعدد لذاك المعسكرا
تألفت الارباب طراً وفوزه على بلد الطروادة اليوم قدرا
وهيرا استلانتهم فاجمع رأيهم على رزء إليون وبالاً مكررا »

أغاممنون يصلّي ، ويدعو الآلهة حول الضحية بعد ان أجمع الزعماء على القتال :

« يا من تفرد في مجدٍ وفي عظم يا راكم الغيم يامن في الرقيع علا
لا تحجب الشمس والظلماء تعقبها حتى بفريام نصراً نبلغ الأملا
ادك شاهق قصر شاده وأرى اللهيب يلتهم الابواب محتملا
ودرع ذي البطش هكطور أمزقها بصدره ونذيق القوم شرّ بلا »

دعوة نسطور للنزال . تلبية اغا ممنون . ثم وصف أثينا وحركات الجيش :

في الحال لبّى اغاممنون منتدباً كل الدعاة لحشد الجند والعمدِ
باجهر الصوت نادوهم وما لبثوا ان اقبلوا مستتمي العد والعدد
والصيد من حول أتريذمكتبة صفوفها وأثينا فوق كل يدِ
مثيرةً خطوات الجند نافخة بين النفوس اقتحام الهول والشدد
ترنو بمائيّ عينيها مشددةً قلوبهم وبدت بالمجوب الخلد [1]
حتى سعوا واوار الحرب لاح لهم أشهى من العود للازواج والولد
تمضي فيالقهم في أدرع سطعت فوق الرقيع لاعلى قبة الجلد
كالنار ملهبة غاباً على جبل والنور منبعث منها على أمد
وغادروا الخيم والفلك السراع وفي ذاك الفضا انتشروا في حلة الزرد
كما تكاثف طير البر من بجعٍ ومن اذرٍّ ورهو بالغ الجيد ..
وللحوافر وقع والنعال لها خفق يفتق جسم الجلمد الأجدِ [2]
حتى بساحل اسكامندر وقفوا عداد اوراق روض بالربيع ندي
حلوا بضفته في عدة غمضت يصلون نار انتقامٍ داخل الكبد
مثل الذباب اذا حان الربيع وقد حامت بغبّةِ راعي العنز والنقدِ [3]
تهافتت تبتغي الألبان هاجمة على القصاع بلا حصرٍ ولا عدد
وكل سيد قوم قام منفرداً بهم كراعٍ بما يستاق منفردِ

---

١ المجوب : الدرع
٢ الاجد : القوي المتماسك .
٣ النقد : الغنم .

في الحال يجمع شتاهم اذا امتزجت    بين الالوف بارض البر إن يردِ
وبينهم بشعار الفخر متشحاً    اتريذ قام بمجد باذخ العمد
وقد حكى زفس عينيه وهامته    فوسيذصدراً وآريساً قوى جسد [1]
في ذلك اليوم قصاف الرعود قضى    ان لا يضاهيه بين الجند من احد [2]
فكان كالفحل ما بين الصوار متى    يقم شموخاً على قطعانه يسدِ [3]

---

١ زفس وفوسيذ وآريس : آلهة .
٢ قصاف الرعود : صفة لزفس .
٣ الصوار : القطيع .

# النشيد الثالث

## براز منيلاوس وفاريس

تقدم الجيشان ، وكاد يلتحم القتال بينهما . فاذا بفاريس برز من بين الطروادين ، وطلب مبارزة اشد الاغريق بطشاً . فبدر اليه منيلاوس يحتدم غيظاً . فارتاع فاريس لمرآه وقفل راجعاً . فتلقاه اخوه هكطور بالتقريع والتونيب . فاشتدت عزيمة فاريس وطلب من اخيه ان ينادي باعادة البراز على شريطة ان يتفق الفريقان على ان لا يبرز الى ساحة القتال الا" فاريس وندّه منيلاوس . فمن ظفر منهما أحرز الغلبة لنفسه ولقومه واستأثر بهيلانة . فتنتهي الحرب وتحقن الدماء . ففعل هكطور ووافقه الاغريق . فالتقى الخصمان وكاد فاريس يخر قتيلاً لو لم تبادر الزهرة فتنقذه وتحمله سالماً الى صرحه حيث ألقته ، ونادت هيلانة تمتع كلّاً منهما برأى الآخر . فتساخطت عليه هيلانة اولاً" . ولكن الزهرة هاجت فيها الغرام فأنستها وانسته ما لقي من ذلة الانكسار .

اما منيلاوس فظل يتقصى اثر فاريس . ولما لم يظفر به نادى اغاممنون بثبوت الظفر لاخيه وطلب انفاذ الهدنة .

جرت وقائع هذا النشيد في اليوم الثالث والعشرين ايضاً ، في ساحة القتال ثمّ داخل طروادة .

# من النشيد الثالث

مطلع :

نظم القوّاد سرى الجندِ　　يحمي الجيشين على الحدّ
زحف الطروادة عن بعدِ　　بصديد عالٍ مشتدّ
ودويٍّ يقصف كالرعد

كالرهو اذا اشتد المطرُ　　والقر مواطنه يذرُ
في الجوِّ تعج له زمرُ　　فوق الاقيانس تنتشرُ
للبغمة محكمة الحشد[1]

فيعمّ الفتك بجملتها　　اما الاغريق بجملتها
فمشت بثقيل سكينتها　　آلت والنفس بجدتها
تتصاعد وارية الزند

جدّ الجيشان وقد هرعا　　حتى همّا ان يجتمعا
فاذا فاريس قد طلعا　　وجميل محياه سطعا
وغدا يستهدف للطردِ

ويسير بعجب المختالِ　　يدعو لبراز قتالِ
عمد الاغريق الابطالِ　　فرآه منيلا في الحالِ
فبدا يتهلل بالرغدِ

كالليث يضوره السغب　　والظبي لديه يضطربُ
فعليه منقضاً يثبُ　　ولو القناصون اقتربوا
بضراء تقبل للصد[2]

---

[1] البغمة : اصوات مختلطة .

[2] ضراء : يقصد بها الكلاب المضراة للصيد

بالعدة من اعلى العجله — بالشدة بادر بالعجلَه
لا يبغي الآن يصله — يقتص لجرم قد فعله
ومضى يتوقد بالحقد

نظر الاسكندر وامتقعا — فنجا لمعسكره هلعا[1]
كالغر له فوراً طلعا — صل في الغاب قد اندفعا
فيعود بقلب منهدّ

تونيب هكطور لفاريس :

فأتاه هكطور يجري — ويقول بطرف محمر
فاريس يا وجه الشرّ — يا زير نساء مغتر
بجمال يلهو بالوجد

يا ليتك عمرك لم تولدْ — او مت وبضعك لم يعقد
ولعمري ، خير ان يُلحد — خوار العزم ولا ينكد
بشماتة اعداه اللدّ

اجمعتَ الصحب من الوطن — وطويت البحر على السفن
وولجت بلاداً لم تطن — وسبيت فتاة لم تشن
لاماثل ابطال اسد

اخشيت منيلا القهارا — وعرفت واكثرت العارا
لمن المسبية والثارا — من يطلب منك وقد ثارا
بجنان عزام صلد

---

١ الاسكندر : فاريس .

افلا اثبت له بأسك في الحرب فاخمد انفاسك
ورأيت العود ونبراسك وشعوراً قدزانت راسك
وهبات الزهرة لا تجدي

هكطور يعلن ما تعهد به فاريس :

فاض هكطور قلبه بحبور وتدنّى لساحة الميدان
وبمزراقه امال ذويه وقفوا بالوقار والاذعان
وعليه الاغريق امطرت النبل ووبل الحجار مثل الدخان

بعد ان يطلب اغاممنون وقف القتال :

سكنَ الجيش ، قال هكطور : « سمعاً » لمقالي يا ايها الجيشانِ
ها كمُ ما فاريس يلقي عليكم وهو تدرون أسّ هذا الهوانِ
كلكم للحضيض القوا سلاحاً والى الحرب يبرز القرنان
هو والباسل العزوم منيلا عن جميع الجنود يقتتلان
كل من فاز منهما يحرز المال ، وهيلانةً بغير طعان
ويؤالي الجيشان بالامن والوفق لطول الزمان يتحدان .

وصف براز فاريس ومنيلا :

فتقدما ولحاظ كل مبارزٍ شفت بواري الغيظ عن عضّاته
وقفوا لدى ماخططوا وكلاهما بقناته يضوي قلوب قلاته
فرمى ابن فريام المثقف فالتوى بمجن اتريذ على نبواتهِ
في الحال بادره منيلا مرسلاً رشقاته مشفوعةً بصلاتهِ :

« يا زفس خذ بيدي لانقم من فتى | عرضي يدّنسه بتشويهاتـه
واسحقه سحقاً في يدي يك عبرةً | لنزيل سوء عقّ فضل قراته »
ورمى بعاسله فانفذ خارقاً | ظهر المجن وبطن فضفاضاته
حتى تخلل نافذاً بدثاره | فلوى المناكب فائزاً بنجاته
فاستلّ اتريذ صقيل حسامه | فوق التريكة موقناً بمماته [1]
فتكسر الصمصام وسط يمينه | وأطار فوق جبينه شذراته .

يلوم زفس ثم ينقض على فاريس فيكاد يبطش به ...

لكنّ عفروذيت وهي قديرة | من فورها وصلت حبال حياته [2]
حجبته في ركم الضباب محلةً | إياه بالاطياب في حجراته [3]

---

١ آتريذ : منيلاوس
٢ عفروذيت : هي الزهرة الاهة الحب والجمال .
٣ ركم الضباب : كناية عن الغبار الكثيف .

# النشيد الرابع

## نقض العهدة ، والوقعة الاولى

جلس الآلهة للنظر في أمر الحرب . فرأى زفس القاء الصلح . وابت هيرا الا التنكيل بالطرواد ، فوافقها زفس على ان يهدم فيما بعد ما شاء من المدائن المستظلة بظلها . وأنفذ آثينا الى الطرواديين تستفزهم الى العبث بالعهدة . فدفعت فنداروس الى اطلاق سهم على منيلاوس فجرح جرحاً بليغاً . وما وقف الطرواد عند تلك الخيانة ، بل انقضوا هاجمين على الاغريق . فهاجت اغاممنون الحمية ، فخاض الصفوف يستحث ، ويؤنب المتثبطين . والتحم القتال فاستظهر جيش الاغريق وكاد يقضي على الطرواديين ، لو لم يبادر أفلون ويستنهض الهمم . وقاتل الاثنان قتال المستبسل اليئس حتى « كسا اديم الارض تيار الدماء » .

مجرى الوقائع في السهل امام طروادة . في اليوم الثالث والعشرين كالنشيدين السابقين ، وهكذا حتى أواخر النشيد السابع .

## من النشيد الرابع

جرح منيلاوس ثم خطاب اغاممنون في جيشه :

قوم الاغارق قد لهوا بجريحهم — وعليهم زحفت قوى الاعداءِ
فتقنعوا بسلاحهم وتقدموا — مستلئمين لساحة الهيجاء
أفلا رأيت مليكهم قد هبّ لا — متقاعساً بتقاعس الجبناء
بالحزم ثبت عزم كلّ كتيبةٍ — نهضت ببأس ثابتٍ وبلاءٍ :
«يا أيّها الاغريق لا تترددوا — برج النفاق عماده تتهدمُ
أعداؤنا نقضوا العهاد خيانةً — وعن الخيانة ان زفس لينقمُ
ولسوف تفترس الطيور لحومهم — وجميع انقاض البلاد تفصّمُ
ولسوف تحرز ملكنا أزواجهم — وبنيهم وديارهم تتهدمُ »
ويميل بالتعنيف محتدماً على — من ذلّ تحت الازمة اللأواءِ

وصف زحف جيش الاغريق . وقد ميزه الشاعر بالهدوء والثبات وطاعة الجنود للرؤساء :

تدفقت الاجناد أيّ تدفقٍ — الى الحرب تجري فيلقاً اثرَ فيلق
كثائر امواج البحار تهيجها — من الريح امواج بغير ترفقِ
فتنقض اعلى الصخر عن زبد غثا — تغرغر عن قصف الغدير المصفق
بهم اولياء الامر يسمع أمرهم — وهم لا هوى نفسٍ ولا صوت منطق
تخالهم بكماً لاوّل وهلةٍ — وقد نظموا نظم الخبير المحقق
وفوق الصدور الطامحات تألقت — صوارمهم والسمر أيّ تألق

وصف زحف الجيش الطروادي وجلبته :

ولكنما الاعداء قام ضجيجهم كسرب شياهٍ بالحظائر قلّق

اذا ما استدرت والكباش ثغت لها لهن رنت تثغو بانة مشفق

فاوزاعهم من كل فج تألقوا بعدة لسنٍ واختلاف تخلّقِ

تشوقهم طوراً اثينا الى الوغى وطوراً اله الحرب ادهى مشوق

ولمّا تدانوا والنفوس سواخط تحرقت الاجناد ايّ تحرقِ

طعان تلاقت في صدورٍ تدججت وكرّ بواري يلمقاً فوق يلمق

وزفرة مقتول ، ونعرة قاتلٍ وسيلُ دماء بالاسنة مهرق

# النشيد الخامس

## بطش ذيوميذ

اندفع ذيوميذ البطل اليوناني الى ساحة القتال بايعاز من اثينا . وكان آريس اله الحرب عاملاً على نجدة الطرواد. فحملته اثينا على مغادرة ميدان الكفاح . فاصطدم الجيشان واستظهر الاغريق . وجرح ذيوميذ جرحاً طفيفاً . لكنه اندفع ثانية يفتك بالاعداء . فاجتمع انياس وفنداروس على قتال ذيوميذ . فجندل ذيوميذ فنداروس وكاد يفتك بانياس ، لو لم تحلق به امه الزهرة . وكانت اثينا قد وهبت ذيوميذ قوة التمييز بين الآلهة و البشر. فأطار على الزهرة سهماً وجرحها بيدها. وبادرت آثينا وهيرا فشكت الزهرة الى زفس حتى لا يتأثر لشكواها لما نالها من ذيوميذ . وشاء ذيوميذ الايقاع بافلون فزجره هذا الاله ونادى بآريس لنجدة الطرواد . فاستنهض آريس همم الطرواد فهاجت هكطور الحمية ، وعاد انياس سالماً . واشتد الطعان وسالت الدماء من الفريقين . وكان اشدهم بطشاً هكطور بين الطرواد وذيوميذ بين الاغريق. وفاز الطرواد بهذه المعمعة بنصرة آريس. ففزعت هيرا واثينا للاغريق . واستأذنتا زفس لصد هجمات آريس . فحثت اثينا ذيوميذ على الفتك به فطعنه وجرحه . فصعد الى زفس يشكو أمره فونبه وعنفه . ثم أمر بالتئام جرحه . وعادت من ثم اثينا وهيرا الى مقام زفس

مجرى وقائع هذا النشيد كالنشيد الرابع ، من حيث المكان والزمان

## من النشيد الخامس

ديوميذ يبرز في سلاحه ببدء المعركة :

حبت فالاس ذاك اليوم عزماً / وبأساً لابن تيذيس منيعا [1]
ليعظم في بني الاغريق شأناً / ويبلغ فيهم الشرف الرفيعا
وفوق صفاح مغفره أفاضت / وفوق مجنه قبساً بديعا
فشبّ برأسه وبمنكبيه / شعاع فاض مندفعاً سطيعا
ككوكبة الخريف قد استحمت / بلج البحر وامتطت الرقيعا
وألقته الى حيث الاعادي / تكثف من كتائبها الجموعا

وصفه في العراك :

لو تربصت والعجاج استطارا / ونجيع الدماء سال وفارا
وتبصرت بابن تيذيس لم / تدرِ اي الجيشين منه اغارا [2]
مستشيطاً ينقض فوق الاعادي / ينهب السهل بين عادٍ وغادِ
كخليج يضيق بالسهل مجراه / فيستأصل الجسور الكبارا
وينقض السدود والزبد يدفع / ومباني الحراث منه تزعزع
وتلاشى آمالهم بعباب / ساقه زفس فوقه مدرارا
فصفوف العدى وان زدن عداً / ذقن ذرعاً من صده اليوم صدا
شتتوا حيث ثار يعمل سمراً / فاريات ، وصارماً بتارا

اغاممنون يخطب :

شددوا عزمكم وكونوا رجالا / فوطيس الوغى عظيم الشؤون

---

١ فالاس : اثينا نفسها .

٢ ابن تيذيس : ديوميذ

وليقم بعضكم بحرمة بعض فلكم بالوفاق خير قرين
والتآخي بين النفوس نصير ولحفظ النفوس اقوى ضمين
للجبان المهزوم ، موت وعارٌ والهمام العزوم رفع الجبين

آريس يوالي هكطور :

تحدم هكطور لما هو باصرٌ فصاح مغيراً واقتفته العساكرُ
وفي صدرهم رب الوغى يستحثهم وإبتو تثير الشغب والشغبُ ثائرٌ [1]
وآريس هكطوراً يلي فهو تارةً ظهيرٌ وطوراً دونه متظاهرُ
يجيل قناة أثقلت كلَّ كاهلٍ ويفعل ما لا تستطيع القساورُ

مشهد اثينا وهيرا في نصرة الاغريق :

وسارت على الأثر الربتانِ ترفان رف حمام الجنانِ
تومان في خفة السير عن جيوش الاغارق دره المحن
فبادرتا نحو اوفى السواد الى حيث أبسلهم باشتداد
وحول ذيوميذ كل يذود ببأس ، ولا بأس جيش الاسود

آريس يحتدم في نصرة الطرواد :

فصاح أريس بصوت دوى يزعزع اركان ذاك الفضا
كعشرة آلاف قرن يصيح معاً فوق ذاك المجال الفسيح [2]
فخار الفريقان واضطربا وآريس بالسحب احتجبا
رآه ذيوميذ وهو يطيرْ بقلب الغمائم بادي الزفيرْ
بخاراً تقتم تحت الغيوم تهب به عاصفات السموم
فادرك أولمبساً بالعجلْ وجاء الى زفس جم الوجلْ
وقرَّ لديه يريه دماه يبث له حنقاً مشتكاه .

---

١ ابتو : الجحيم .
٢ هذا الضجيج اشارة الى اشتداد الكفاح وارتفاع الصديد

# النشيد السادس

## اجتماع غلوكوس بذيوميذ

## وداع هكطور لزوجه اندروماخ

ما كادت تخلو ساحة الحرب من الارباب ، حتى استظهر الاغريق وانهزم الطرواد . فأوقفهم هكطور واسرع الى إليون ، يسأل امه ان تستمد عون الالاهة اثينا ، دفعاً لهجمات الاغريق . ولما احتجب هكطور ، برز لذيوميذ غلوكوس زعيم الليقيين . وقبل ان يصطدما ، تعارفا واذكرا الود الذي كان بين ذويهما . فافترقا على غير قتال . اما هكطور ، فانه بعد ان ذهبت امه وكبيرات العقائل يتشفعن اثينا ، صعد الى حجرة اخيه فاريس فلقيه مع هيلانة فمال عليه بالتقريع . واستحثه على معاودة الكفاح . وطلب امرأته اندروماخ فلم يجدها في منزلها . وأنبىء انها ذهبت ترقب حركات الجيش من فوق الابراج . فجرى اليها ، فلقيها مع طفله . وكان هنالك حديث ذو شأن . ثم ودعها وانصرف الى ساحة القتال . ولحق به فاريس الى السهل .

هذا النشيد كسابقه من حيث الزمان . ومشهد وقائعه بين نهري سيموس واسكندر ، ثم في اليون .

## من النشيد السادس

مقدم هكطور الى اسكيه :

سار هكطور حثيثاً وانى     باب اسكية والزان ظليل
فتلقته نساء وبنات     منه علماً تنقصى سائلات

عن بنيهن واخوانٍ ثقات

وبعولٍ واخلا فأمر     ان يبادرن على ذاك الاثر

ويصلين لارباب البشر

علها تدفع عنهن الاذى     ولزاهي قصر فريامٍ مضى
هو صرح شيد بالنحت الجميل     فوق ابواب رواق مستطيل

وداع هكطور ، اندروماخ : رجاء اندروماخ وهي تتوقع حلول النائبة :

يا شقي البخت ذا البأس الوخيم     سوف يلقيك بلجات الجحيم

ولي الارمال والطفل يتيم

سوف تلقاك جماهير عداك     وتلقيك مضاضاتِ الهلاك

فلمن أبقى اذا مت سواك

آه لو ألقى الى جوف الثرى     قبل ان تلقى على الارض قتيل

بعد ان تسرد ما حل بذويها تصيح :

. . . . . . . . أنت أمي واخي أنت ابي

أنت بعلي أنت كل الأربِ

انت كلّ الاهـل لي اذ انت حي      آهِ فـارحم وانعطف رفقـاً عليّ
آهِ فارفق بي وبالطفل لدي
انا لا اطمع ان تأبى الوحى[1]      وعن الهيجاء جبناً تستقبـل
انا ارغب ان تحمي الذمار      وتقي نفسك مـن شر البوار
فهنا السور تداعى للدمار
فبغاه كلّ ذي عزمٍ وباس      كذيوميذٍ ، واتريذ ، ايـاس
وثلاثاً كاد يندكّ الاساس
لست ادري هـل اتوه عن هوىً      او لهم قد كان في الوحي دليـل

جواب هكطور :

بـين اقوامي وربات الـدول      لست ارضى العار ان تعل النصول
او عن الهيجاء يثنيني الخمول
وانا دومـاً بصدر الفيلـقِ      شأن فريام وشأني اتقـي
واقي قومي بحد المخفقِ
آه لكنّ فؤادي والحجى      ينبئاني ان حصامي كليل
سوف تندك باليون القلاع      وتوافينا الملمات الفظاع
كل هذا منه قلبي لا يراع
لا اذا امي في الترب ثوت      او ابي من دمه السمر ارتوت
او رميم الاخوة الارض احتوت
لا اذا الطرواد بادوا واذا      مزق الزرقاء للجو العويل

---

[1] الوحى : الحرب

كله لا شيء ان صح الصحيح ولديهم كنت والدمع يسيح
والذي يلقاك بي هزءاً يصيح:
تلكم زوجة هكطور الشديد خير ما في القوم من قرم عنيد
كم له قرع بدرّاع الحديد
تل صدر الجيش تلّاً وهنا سبيت زوجته وهو تليل[1]
فتصيحين وتصلين السعير تستجيرين ولكن من يجير
ان يكن هكطور في الترب قرير
فلك الرق وانواع العذاب يا لحود الارض واريني التراب
قبل ان يدهمني هذا المصاب
وأنلني ايها الخطب البلا قبلما زوجي للسبي تنيل

الوالدان والطفل :

ثم مد اليد للطفل فصد جازعاً لما رأى تلك العدد
من نواص سابحات وزرد
وبصدر المرضع الطفل ارتمى فلديه ابواه بسما
وبرفق عنه هكطور رمى
ذلك المغفر والطفل بدا بيديه بين تقبيل يجيل
ودعا يسألُ اسياد الأنام : « أنت يا زفس واربابا عظام
عونكم اساله في ذا الغـلام»
فليكن مثلي هصار الاسود وهو في إليون بالبأس يسود
واذا من موقف الحرب يعود

---

١ تليل : قتيل

فليُقَل فوق ابيه قد سما   سل سيف الفوز يانعم السليل »

عزمه على العودة الى ميدان الكفاح :

ثم ناداها وقد رام العجل :   «لا يشق الأمر لا يُعنَ الوجل
ليس موتٌ قبل ادراكِ الاجل
كل صنديد ورعديد جبانْ   مذ تبدى بوجود للعيانْ
ليس ينجو من تقاديرِ الزمان
ولكلٍّ عملٌ فامضي كفى   واطلبي اعمال ربات السديلْ
فلك النسج وفتلُ المغزلِ   ولنا إعمال سمرِ الذبلِ
وانا الايقاع بالابطال لي »
لبس المغفر حالاً ووثب   ومضت تلفت من حيث ذهبْ
تذرف العبرة والقلب التهب
دخلت للصرح يوليها الشجا   زفرات اشجنت كل الدخيلْ

وصف فاريس يتأهب للحرب:

مضى وبعالي الصرح فاريسُ جانحُ   الى الحرب منه تستطير الجوانحُ
بعدة فولاذٍ تألق نورها   جرى وهو بين الطرق كالبرق رامحُ
كمهر عتيٍّ فاض مطعمه على   ربائطه يبتتها وهو جامحُ
ويضربُ في قلب المفاوز طافحاً   الى حيث قلب الارض بالسيل طافح
يروّض فيه إثر ما اعتاد نفسه   ويطرب ان تبدو لديه الضحاضحُ
ويشمخ مختالاً بشائق حسنه   يطير واعراف النواصي سوابح

# النشيد السابع

## براز هكطور واياس

لمّا بلغ هكطور وفاريس معسكر قومهما، اضطرمت الحرب. وكادت تدور الدائرة على الاغريق. فخشيت اثينا عاقبة الامر وهمت باغاثتهم. فلحق بها افلون نصير الطرواد واتفقا على ايقاف القتال في ذلك اليوم، على ان يبرز هكطور طالباً اشد اليونان بأساً لبرازه. ولمّا فعل، اخذهم الذهول والصمت. ثمّ اقترعوا، فأصابت القرعة اياس. فشك بسلاحه وبرز لهكطور. ولبثا في صدام حتى ساد الظلام فانحاز كلّ الى معسكره. فنادى بين الاغريق نسطور الشيخ بايقاف رحى القتال، ريثما تدفن الجثث. وقام في معسكر الطرواد انطينور ينصح بالتجاوز عن هيلانة حقناً للدماء. فعارضه فاريس برد هيلانة ولكن يسمح باموالها وزيادة. فارسل فريام الى الاغريق يبلغهم مفاد كلام فاريس ويطلب الهدنة لدفن الموتى. فأبى ذيوميذ الاّ الحرب. وأقر الاغريق على الهدنة. ثم شرع الاغريق بحفر خندق وبناء معقل صداً لهجمات الطرواد.

ينتهي اليوم الثالث والعشرون في هذا النشيد، ببراز هكطور واياس. واليوم الرابع والعشرون بعقد الهدنة. والخامس والعشرون بدفن القتلى. والسادس والعشرون ببناء المعقل، وحفر الخندق.

ومشهد الوقائع في ساحة القتال

## من النشيد السابع

### براز إياس ، هكطور :

فاقبل اياس في كبره ... بترس كبرج على صدره
بهيلا له الصانع الامهر ... تيخوس حدق يفتخر [1]
على سبعة من جلود البقر ... غشاه من الصفر بوهي النظر
ولما اليه دنا وقفا ... وصاح بهكطور اقبل كفى
فسوف ترى ما بفرد لفرد ... بجيش الاخاءة من فتك اسد
وان كان آخيل قلب الاسد ... وخراق قلب العدو الالد
على اغمنون قد حقدا ... وعنا لدى فلكه انفردا
ففينا للقياك جم غفير ... فاقبل الي واور السعير
اجاب : «ايا من لزفس انتماه ... ويا ابن تلامون قيل السراه
مه لا تخل بي رعونة ولد ... وعجز نساء جزعن لصد
الفت القتال وذبح الرجال ... على قدمي وفوق العجال
يساري بالترس مثل يميني ... ورقصي في الحرب يعلي شؤوني
ولم يك شأني غدراً اراك ... بل الحرب صدراً لصدر فهاك»
وهز المثقف يطعن طعنا ... مجن إياس فغار ورنا
فشقق فولاذه والجلود ... لسابعها فاستقر ، يميد

---

[1] هيلا بلدة في بيوتيا خربت قبل زمن اسطرابون . وتيخوس هذا صانع جلود . قيل : كان في كوما فلما برح الفقر بهوميروس شخص الى تلك البلدة فامتدحها ببضعة ابيات فانزله تيخوس في بيته . فخلد هوميروس ذكره شكراً وامتناناً .

فارسل آياس رمحاً شديداً على جوب هكطور يفري الحديدا
ولكن هكطور اهوى وحاد والا لطالته اخت النآد[1]
وكلهما اجتذب اللهذما وحملق ينظر محتدما
كليث يمزق لحم الرجال وخرنوص برّ بعيد المنال
فطعنة هكطور لم تنجبِ ولكن لواها قفا المجوب
فقرّ إياس وما انقلبا وبالرمح من فوره وثبا
فانفذ بالترس مرتعدا الى العنق يجري دماً اسودا
وهكطور عن حزمه ما انثنى ولكن لوجه الحضيض انحنى
تناول اسود صخر اصم غليظاً به مستشيطاً هجم
وعن كف بأس اصاب مجنه فرن فولاذه اي رنه .
وصيخود صخر اشد رفع إياس فذبذبه ودفع
بعزم رحاه بقدر الرحى على ترس هكطور فانطرحا
ومن صلب ركبته الدم سالا فانهضه الرب فيبس حالا
فجرّد كل حسام الهوان وكادا على القرب يشتبكان

ولما خيم الظلام حال بينهما حكماء الفريقين فافترقا بعد تبادل ببعض العدة ذكراً لذاك الصدام :

وهيّ نبادل قبيل القفول نفيس الهدايا وكل يقول:[2]

---

[1] اخت النآد : المنية

[2] كانت تلك المقايضة وبالا على كليهما . فاياس انتحر بعد « الالياذة » بسيف هكطور ، وهكطور شد في الالياذة بحزام اياس الى مركبة آخيل.

« كفـاح شديد اوان التلاقي ووود وطيد قبيل الفراق »
وغمداً وزاهي نجادٍ ونالا حزاماً بفرفيره قد تلالا
وكل تجاه ذويه انقلب وبين الطراود فاض الطرب
رأوا ان هكطور بعد الاياس سليماً نجا من ذراع اياس
به نحو إليون ساروا وسارا اياس الى القوم يزهو افتخارا

# النشيد الثامن

## الوقعة الثانية

لما طر الفجر ، عقد زفس مجلس الآلهة . وهدد قاضياً بألا يتحرش احد منهم لنجدة اي الفريقين . فالتمست اثينا ان يأذن لها بمؤازرة الاغريق برأيها ليس الا . فاذن لها . واعتلى مركبته الى جبل ايذا يسرح انظاره بين اليون ومعسكر الجيوش . فالتقت الفئتان واحتدم الاوار الى منتصف النهار . فتناول زفس قسطاسه الذهبي فرجحت كفة الطرواد . فارعد وابرق فهدت عزائم الاغريق والتووا يتعقبهم الطرواد الى معقلهم . فارهب زفس ذيوميذ بالصواعق فانهزم من وجه هكطور . فاستعانت هيرا بفوسيذ طلباً لنجدة الاغريق فاعرض عنها . وتضرع اغاممنون الى زفس ففاز الاغريق هنيهة . وابلى ذيوميذ وطفقير بلاءً حسناً . ثم جرح طفقير فوجهه صحبه الى السفن . ثم عاد زفس الى نصرة الطرواد ففازوا فوزاً مبيناً . ثم عاد زفس الى الاولمب فاجتمعت الآلهة حوله . فأنبأهم بما اعد في قضائه المحتوم من اشتداد الازمة على الاغريق حتى يخمد غيظ اخيل ويرجع الى مقاتلة الاعداء .

ولما خيم الظلام ، انفصل الفريقان . واقام هكطور العيون والرقباء على الاعداء حتى لا ينهزموا ليلاً . فانار الطرواد المقابس وقضوا ليلهم

بسلاحهم ، ريثما يصبح الصباح فيعيدوا الكرة على اعدائهم .

تستغرق وقائع هذا النشيد يوماً كاملاً وهو اليوم السابع والعشرون لافتتاح انشاد الالياذة . وتجري معظم الحوادث على مقربة من شاطىء البحر والباقي في اندية زفس .

## من النشيد الثامن

مجلس الآلهة . وعيد زفس وتهديده :

كسا الفجر وجه الارض ثوباً مزعفرا ... وزفس ابو الاهوال في أرفع الذرى
على قمـــة الألمب تصغي مهابة ... لمنطقه الارباب – ألّف محضرا
فقال : ليعلم كلّ ربٍ وربّة ... بما اليوم في صدري فؤادي اضمرا
فلا ينبذنّ الأمر عاصٍ بل اذعنوا ... لانفذ مـــا أبرمت أمراً مقدّرا
لنصرةِ أيّ القوم من يجر منـــكم ... يؤوبنّ منكوباً يخضبه الدمُ
والا ، فمـــن شم الالمب براحتي ... الى الظلمات الدهم يُلقى ويرجم
الى حيث ابواب الحديد قد استوت ... على عتب الفولاذ والقعرُ مظلمُ
الى هوّة بـين الجحيم وبينهـا ... مجالٌ كأقصى الجوِ عن أسفل الثرى

وصف مصرعين مختلفين :

فرأس الفتى لمّا بجنته مُني ... بمغفره المسرود أثقل ينحني
كزهرة خشخاشٍ بيانع روضةٍ ... يثقلها طلّ الربيع فتنثني .

فثنى على هكطور طفقير رميهُ فصرح تثني السهم كفّ أفلّنٍ [1]
وأنفذَ في أرحفطليم بثديهِ فأهوى غضيض الجفن منفصم العرى

وصف هكطور يتعقب الاغريق :

وهكطور صدر الجيش يجري ويلغبُ ويكساً في الارداف من يتعقبُ
كأغضف هول قد تأثر ضيغماً تذعّر او خرنوص بر يكبكب [2]
فينهشه في صفحتيه وساقه وينظر هل يلوي خطاه ويلجب
فولوا لديهِ جائرين وشيعهم وخندقهم والسيف يبتت اظهرا

وصف مقابس الطرواد :

فبين السفين الراسيات وزنتسٍ لوامعُ نيرانٍ بذاك المعرّسِ
تؤجج لدى إليون في ألف مقبسٍ يؤججها خمسون في كلّ مقبسِ
ودونهم بين العجال جيادهم وقوف على ذاك القضيم المكدّسِ
شعيرٌ نقيٌّ فوق أسمر حنطةٍ بها مرحت حتى الصباح تفجرا
كأن النجوم الغرّ والبدرُ طالعٌ بقبة أفلاك السماء لوامعُ
مؤلقة لا غيم يحجب نورها ولا رهج حالٍ ذرته الزوابعُ
فتنعكس الانوار في كل سبسب وغورٍ ، ونجدٍ ،والعيون هواجعُ
فيبتهج الراعي بابهج منظرٍ ويطمع لو ظلت تنير فينظرا

---

١ صرح : أخطأ . أي ان أفلون حول السهم عن هكطور

٢ الاغضف : الكلب الكبير . يكبكب : يصرع .

# النشيد التاسع

## ارسال الوفد لاسترضاء اخيل

بعد خذل اليونان في المواقع السابقة ، فاوض اغاممنون الزعماء بالعودة الى الاوطان . فعارضه ذيوميذ ثم نسطور وحث هذا الزعماء على استرضاء اخيل . فاذعن اغاممنون وذكر التحف والهدايا التي ينوي ان يقدمها لآخيل شرط ان يرعوي ويلين . فارسلوا وفداً برئاسة اوذيس فالفوه ينشد على نغم قيثارته . فاحتفى بهم . وفي اثناء الوليمة خطب اوذيس فذكره بوصايا ابيه . واستحلفه ان يرفق بقومه الاغريق وان كان موغر الصدر على اغاممنون . فابى اخيل في حنق . فانبرى استاذه فينكس واعاد عليه ذكر صباه وما له من الدالة عليه . وتلاه اياس الاكبر لكنه بقي مصراً . فعادت الرسل الى اغاممنون بما كان . فوقف ذيوميذ وهاج حميتهم ، فصرفوا النظر عن آخيل .

يستغرق هذا النشيد والنشيد التالي ليلة واحدة . ومشهد وقائعه على جرف البحر عند مرسى السفن .

يأس اليونان . وخطاب اغاممنون يدعو الى الرجوع :

تمنـــع في الطرواد يخفر جندهم وفرط الاسى والبث هدّ الاخائيا
يساق لهم من موقف الخلد رعدة يلازمها داعي الفرار مبـــاريا

وتخفق احشاهم كما اللج خافق ... اذا لقي البحر الرياح السوافيا
واتريذ والتبريح ينتاب لبه ... يطوف بهم يدعو الدعاة تواليا
ويأمر بالشورى بان يهمسوا بها ... باسمائهم للصيد واجتاز عاديا
وبلّغ صدر الجند حتى اذا بدوا ... جلوساً وصمت الحزن برّح باديا
على قدميه قام والدمع هامر ... تدفق من عينيه كالسيل هاميا :
احباي والاقيال والصيد خلتني ... رماني زفس في حبائل آتيا
فقدت صناديد الرجال وقد قضى ... عليّ الى ارغوس ارجع خاسيا
فهبوا اطيعوا في الهزيمة مغنم ... بعودتنا اني ارى زفس قاضيا

من خطاب ذيوميذ في تخطئة اغاممنون « أتريذ » :

شططت أأتريذ واول منكر ... لقولك ذا لا تحنقنّ أرانيا
فلم تؤت بأس الكف والبأس اوّل ... واوتيت فخر العز والملك ثانيا
أأحمق! هل خلت الاراغس اوهنوا ... فان رمت عوداً دونك السبل ها هيا
وسائرنا لن يبرحنّ بارضنا ... الى ان نرى هذي الحصون بواديا

من خطاب اوذيس في مخيم آخيل :

سلام أخيل لا بحاجة مطعمٍ ... نرى فلدينا خير زاد ميسر
ففي خيم أتريذ بفيض شهيه ... وعندك منه كل اطيب أفخر
وما الآن آن القول في طيب مأكلٍ ... وقد راعنا وقع البلاء المدثر
وإنا لفي ريب بأمر سفيننا ... أتهلك ام تنجو اذا لم تشمر
فقد عسكر الطرواد في حلفائهم ... لديها وقد أوروا لهيب مسعر

وذا زفس اورى البرق فوق يمينهم / دليلًا به يشتد ساعد هكطر
فأصبح لا يرعى الاهاً خلافه / ويرمقنا طرآً بعين محقر
ويدعو فتاة الفجر تبرز عاجلًا / يقطّع اطراف السفين ويبتري
فهب ابن فيلا إن ترم نصر قومنا / وان تك جل الخطب واشتد وانبر
ستندم لكن لات حين ندامة / فذا الحين حين الكر والذب فافكر

من خطاب آخيل يرد على اوذيس :

قال أخيل : يا اذيس المؤانس / لي فاسمع فانني لا الابس
لي مقال فلن احولن عنه / فعه واطرحنّ عنك الوساوس
من يقل غير ما تيقن فكرا / كان عندي من الجحيم اشرا
فالذي قد اسررت هاكم جهاراً / لجميع الاغريق لست بناكس

...

أي نفع جنيت من قهر نفسي / واقتحام الاهوال فتكاً ببأس
كنت كالطير للفراخ يوافي / بطعام عن نفسه وهو جالس
كم ليالٍ أحييت كم من نهارِ / باصطكاك القنا أثرت اواري
كل هذا حفظاً لعرض نساكم / ولكم خضت فادحات الدراهس[1]
ولأتريذ سقت كلّ الغنائم / وهو بين السفين بالأمن قائمْ
فحبا الصيدَ والقيول قليلًا / ويجلّ الاسلاب قد ظل آنس .
إنما من جميعهم ما استردا / انا من دونهم بسهمي استبدا
والى زوجتي استطال فدعه / يتمتع بقربها وينافس[2]

---

١ الدراهس: الشدائد .
٢ دعا آخيل بريسا السبية زوجا له ، لانه كان مصمما على اتخاذها كذلك .

فعلام الاغريق هاجوا وماجوا ... وبحرب الطرواد ثار العجاج
أفما في اطلاب هيلانــة قد ... جاء أتريذ بالكماة القوامس .[1]

...

إن اريد غــل سهمي مني ... مثلمــا غرني فلن يخدعني
بك اوذيس والملوك لدرء الضيم ... عنه فليعقدن المجــالس .
بعد بعدي ما جاء أمراً خطيرا ... رفع السور ثم مد الحفيرا
ثم شاد الابواب لكن أراه ... من لقا هكطر المدمر راعس.[2]
قط ما جاز هكطر الزان قبلا ... لا ، ولا باب اسكيا اجتاز فعلا
بل إزاء الحصون ظل يباري ... عندما كنت في صدور الفوارس.

---

١ القوامس : الامراء
٢ راعس : مرتعش

# النشيد العاشر

## اوذيس وذيوميذ يتجسسان العدو ليلاً

لم ينم اغاممنون ليله لاخفاق مسعاه في استرضاء آخيل . بل كان يطوف في المعسكر ، يوقظ القواد سهراً على سلامة الجيش . وهكذا اخوه منيلاوس ، فقد قام بدوره مع كبار القواد والشيوخ يتفقدون الحرس فالفوهم مستيقظين . وارتأى نسطور تجسس معسكر الاعداء . فقـام اوذيس وذيوميذ بهذه المهمة تحت جنح الظلام . وكان الطرواد قد ارسلوا ذولون في المهمة نفسها ، فقبض اليونانيان على الطروادي واستنبآه جماعته ثم قتلاه . وسارا الى مضارب التراقيين فاذا هم نيـام . فقتل ذيوميذ ملكهم رسوس والحقا به اثني عشر من اجناده ثم رجعا بخيله . فاستيقظ الطرواد مذعورين . ولم يفوزوا بطائل من القاتلين . فاحتفى الاغريق بهما وقد علموا بما كان .

وقائع هذا النشيد في الليلة التي جرت فيهـا وقائع النشيد السابق ، ومشهدها في المعسكرين .

## من النشيد العاشر

أرق اغاممنون واضطرابه :

دون السفائن والدجى قد خيّما هجم الهجوع على الجيوش منوّما

فتمتعوا بهنيئه لكنما أتريذ يأرق بالهواجس مفعما

كقرين هيرا ان اقام مهيئاً بردًا وسيلًا في البلاد عرمرما[1]

في الجو تقصف وامضات بروقه كفؤاد أتريذ يهيج تضرما

لمعسكر الطرواد يلفت تارةً فيرى مقابسهم بذيّاك الحمى

وعجيجهم وصدى ترسلهم على الشبّاب والقصب الرخيم ترنما

فيعود مذعوراً وطوراً ينثني نحو السفائن ثم يحجم مرغما

ويصعّد الزفرات من لب الحشى متبصراً فيما عسى ان يلهما

فبدا له ان الصواب بملتقى نسطور علّ لديه رأياً قوّما

ولعله بحجاه يدرك منفذاً يوقي به الاغريق شراً اعظما

اوذيس وذيوميذ يتقدمان نحو معسكر التراقة بعد ان اقتصا الخبر من الجاسوس الطروادي وقتلاه :

وتقدما بين القواضب والدما فاذا التراقة بالهجوع تمتعوا

وازاءهم فوق الحضيض سلاحهم سطراً ثلاثة اسطر قد جمعوا

وازاء كل فتىً جواداه وفي قلب الكماة مليكهم متمنع .

فهناك اوذس كان اول باصرٍ فالى ذيوميذ أشار يشجع :

---

[1] قرين هيرا : زفس ( القدر)

«هاك الكميّ وهاكيا أفراسه ذولون لم يك مانعاً متكذبا[1]
فالبأس بأسك حل فانت مدجج او شأننا ذا اليوم ان نتنكبا
حلّ الجياد وان تشأ فاحلها واضرب باعناق الرجال مقضبا»
ويدّ ابن تيذيس أثينا شددت فانقض اسباب الرقاب يقطع
سيف فرى ودم جرى صبغ الثرى وتصدعٌ ، وتوجعٌ وتفجـــع
كالليث فاجأ ثلّة لم يرعها راع فمزقها وما هو مقلع .

يدنوان من معسكرهما والزعماء ينتظرون في تصبّر :

ثم اعتلى والخيل ساط فطيرت للقوم يحملها الطريق المهيع[2]
وبهم بـدا نسطور أول سامـع قال: «اسمعوا يا صحب حدسي قد نبا
قد دبّ في أذني وقلبي منبئي خبب بكبكبة الجياد مدبدبا
فعسى ذيوميذ وأوذس أقبلا ومن العدى خير الجياد استصحبا
أخشى التألب في العداة عليهما فعساهما ببلية لم ينكبا»
ما كاد نسطور يتم كلامه حتى من البطلين حل المطلع
فترجلا والكل جاء مسلماً بيمينه وصدى المديح يرجع

---

١ ذولون : الجاسوس الطروادي .
٢ المهيع : الطريق الواسع

# النشيد الحادى عشر

## المعركة الثالثة

لما بدت كوكبة الصباح سير زفس الفتنة فهاج الجيشان للقتال . فاندفع اغاممنون بجيشه تحت رعاية اثينا وهيرا. وأخذ زفس بيد الطرواد فتربص هكطور لصد هجمات الاعداء . وابرز اغاممنون بسالة ادهشت الطرواد فالتووا امامه وهو يتعقبهم ويفتك بهم. فاعتزل هكطور الحرب ببلاغ من زفس، حتى اذا جرح اغاممنون اندفع وشدد عزائم جيشه فكادوا يظهرون على الاغريق . وانبرى ذيوميذ لهكطور فصده . واذا بفاريس قد اطار عليه سهماً فاقعده . فبادر أوذيس لاغاثته وظل يناضل حتى جرحه صوقوس وكاد يهلك لولا اياس ومنيلاوس . وانقض اياس على قلب الجيش الطروادي فهزمه . فاسرع هكطور اليه من طرف الميسرة وامطرت على اياس السهام فجرح وقتل من زعماء الاغريق الجم الغفير. وكان اخيل يرقب عن بعد فارسل فطرقل يتبين ما كان من امرهم فعاد فطرقل الى اخيل يتوسل اليه ان ينهض بنفسه او يلبسه سلاحه ليخدع به الاعداء ويرعبهم .

وقائع هذا النشيد في اليوم الثاني والعشرين لافتتاح الالياذة . وستستمر الى النشيد الثامن عشر . ومشهد الحوادث في ساحة القتال .

## من النشيد الحادي عشر

وصف هكطور في صدر جيشه ، وثورة المعركة :

وهكطرٌ في صدرهم يدورُ — في يده مجنه الكبيرُ
يخوض في ساقتهم ويأمرُ — فيختفي ثم بصدر يصدرُ
ككوكب الهول الذي يستترُ — في الغيم حيناً ، ثم حيناً يظهر
يسطع بالحديد والفولاذ — كبرق زفس اللامع الجباذ [1]
فعند ذاك اشتبك الجيشانِ — وثار نقعُ الضرب والطعانِ
فكلهم مثل الذباب اندفعوا — ولم يكن من للفرار ينزع
تبتّتُ الرؤوس والاجسادُ — كسنبل يبتته الحصاد . .

أوذيس يستغيث وقد تألب عليه الاعداء بعد ان جرح فيسرع منيلا واياس الى نجدته :

فجرت الدماء واشتد الألمْ — وحوله جيش العدى طراً هجم
فلاشتداد الخطب عاد القهقرى — وصاح يدوي صوته حتى السرى
دعا ثلاثاً يطلب الغياثا — وعى منيلا صوته ثلاثا
مال الى رفيقه إياس — قال . « أيا اياس رب الباسِ
صوت أذيس اذني حالاً طرقْ — كأنما أحرج ما بين الفرقْ
وشددت عزمتها عليه — هيِّ نبادر عجلاً اليهِ »

بادر آياسُ بذيّاك المجنْ — كالبرج يحميه وقد كان وهنْ
ففرت الطرواد في كلّ مفر — ثم منيلا لذراعه ابتدر
واجتره من بين تلك القتله — وتبعه أدنى اليه العجله

---

[1] الجباذ : الجذاب .

# النشيد الثاني عشر

## واقعة الخندق

استظهر الطرواد ، ودفعوا الاغارق الى داخل معقلهم وهزموهم الى سفنهم . والقى هكطور الرعب في قلوبهم فوهت عزائمهم . وقد دفعته الحمية الى اجتياز السور والخندق . فتكتب الطرواد بأمره خمس كتائب كل واحدة بزعامة رئيسها الا اسيوس فانه ظل في مركبته فقتل . ولما اندفع الطرواد الى ابواب المعقل صدهم من اليونان بطلان ببسالة عجيبة .

واذ اوشك هكطور ان ينقض على المعقل ظهر لهم على ميسرة الجيش الطروادي نسر ممسك بمخالبه حية . فارتاع فوليداماس لذلك واشار بالكف عن القتال . فوبخه هكطور ولبث على كرته . فثبت الاغريق في موقفهم يمطرون الطرواد نبالاً . وكاد الطرواد ينفذون الى المعقل لولا بسالة اياس . فكثر الفتك والقتل ، فانحاز حينئذ زفس الى الطرواد ، وتقدم هكطور ورمى بصخر على احد الابواب فسحقه وولج مع كل جيشه معسكر الاغريق ولم يزل يتعقبهم حتى لجأوا الى سفنهم .

## من النشيد الثاني عشر

هكطور يحاول اختراق السور والحفير :

كأنّ خرنوص برّ صال او اسدا — لم يعبأنّ بجمعٍ حوله احتشدا
به تحيط السرايا والكلاب وقد — أهمت حواليه من اسهامها بردا
فيستجيش بقلب لا يروّعه — بأس فلا يلتوي للخطب مرتعدا
بل ينثني وهو حيث انقض منقبضاً — أو صال شقت سراياهم لصولته .

الاياسان يذودان عن المعقل :

والارغسيان لا يلويهما الجزعُ — صاحا بمن ضمن ذاك المعقل امتنعوا
فما اجاب مجيب والتووا قلقاً — وكاد جيش العدى للسور يندفع
فبرّزا خارج الابواب وانفردا — مكافحين واسهام العدى تقع
وفوق صدريهما الفولاذ متقد — يصلّ للويل يهمي فوق صفحته .

ظهور النسر في مخلبه الافعوان على ميسرة الجيش الطروادي :

كتيبة تلك ضمت جلهم عددا — جنداً تمد الى كيد العداة يدا
كادت حفيرهم تجتاز عابرةً — اذا بطير لها تحت السماء بدا
فاستوقفت جزعاً في الجرف خائفة — تطيراً وهو عن يسر السرى وردا
نسر مخالبه في الجو قد نشبت — بافعوان خضيب تحت قبضته .
فالافعوان وفيه لم يزل رمقُ — ما بين أظفاره في الجو يصطفق
حتى عليه التوى بالعنق يلسعه — في بارز الصدر حيث التفت العنق

فصاح من ألم مر وافلته ... وراح تحت مهب الريح ينطلق
فالافعوان هوى للأرض مختضباً ... حياً ،وطروادة ارتاعت لرؤيته .

سرفيدون الطروادي ينقض على المعقل :

كضيغمٍ بين شم الراسيات ربي ... وبرحت بحشاه آفة السغبِ
ينقض حتى مباني الناس مبتغياً ... فريسة بفؤاد غير مضطربِ
لا ينثني لكلاب الحي إن نبحت ... أم بادرته رعاة القوم بالقضبِ
وليس يرجع الا نائلاً وطراً ... او هالكاً بقناهم قبل عودته .

هكطور يسحق رتاج المعقل ثم يلجه وأتباعه :

فهكطرٌ مذ اتاه أثبت القدما ... مفرجاً بين ساقيه رحىً ورمى
فراح ما بين صفقيه وقد سحق القفلين ينفذ والطفقان قد حطما
والرزتان استطارت قائمتها ... والباب يصرف من عنف به صدما
انقض هكطور بالفولاذ متشحاً ... كالليل يذعر ذعراً في دجنته .
يهز بين يديه عامليه ولا ... يصده غير ربٍّ عندما حملا
واجتاز وثباً وعيناه شرارهما ... وارٍ والفت يدعو قومه عجلا
تلوه ما بين عادٍ قد تسلق أو ... في الباب جارٍ لداوي الصوت ممتثلا
والأرغسيون للاسطول قد لجأوا ... في مأزق ضاق مشتد بأزمته

# النشيد الثالث عشر

## الوقعة الرابعة

دفع زفس هكطور وانصاره الى الثغر، ففتكوا بالاغريق. وهاجت العاطفة الاله فوسيذ فاتخذ هيئة كلخاس العرّاف واستنهض همة الاياسين ونفر من المقاتلة، فصدوا هكطور واتباعه. وجرح هكطور بعد ان قتل امفيماخوس. فامتعض فوسيذ لقتل هذا البطل فتنكر والهب لب ذيوميذ فسار بمركبته الى ميسرة الجيش وظل الاياسان في القلب. وكادت كفّة القتال ترجح للاغريق. فتثبت هكطور في موقفه وتألبت عليه الاعداء فلم تفز منه بطائل. وزحف عليه الاياسان بجيشهما وانهالت النبال على الطرواد كالمطر، حتى كادوا ينهزمون. فخاض هكطور الصفوف وعنف أخاه فاريس ثم انقضا معاً انقضاض الاسود فلم يظفرا بخرق كتائب الاغريق فالتقى الجيشان.

ووقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين ايضاً، بين معقل الاغريق والساحل.

## من النشيد الثالث عشر

تألب الاغريق لصد هكطور ، فنداء هكطور لقومه :

تربص صيد جماهيرهم لصد العداة وهكطورهم
نصال القنا لنصال القنا وفوق المجن المجن انحنى
وبالمغفر المغفر اتصلا وقد عانق البطل البطلا
يرصهم الخوذ اللامعاتُ تلاقت تموج بها العذبات[1]
وهبّ الطراود والتصقوا وفي الصدر هكطور مندفق
كجلمود صخر قد انتزعا من الشم سيلٌ به اندفعا
له الغاب مرتجةٌ ترتجفْ الى القعر حيث بعنف يقف
وجيش الاخاءة همّ اليهِ يهيل القنا والسيوف عليهِ
فصدوه فانكفأ القهقرى يصيح ويدعو قبول السرى:
طراودتي وبني ليقيا ويا آل دردانس الاصفيا
قفوا فالعدو قريباً يدينْ وان رص رص الحصار المتين

---

١ العذبات : مفردها عذبة ، وهو ما سدل بين الكتفين من العمامة .

# النشيد الرابع عشر

## مكر هيرا ببعلها زفس

كان نسطور يعني بتمريض ماخاون الجريح فخرق اذنه قرع الحراب. فخرج من مضربه يتشوف . فاذا به يشهد اغاممنون ، واوذيس ، وذيوميذ وكلهم جريح . فتشاوروا فرأى اغاممنون ان الغنيمة في الهزيمة . فقبحوا رأيه وارتأوا العودة لاثارة الحمية في الجنود . وظهر فوسيذ بهيئة جندي شيخ ونشط اغاممنون ، وثبت الاغريق . وتهيأت هيرا لاعمال الحيلة ، فاستعارت حزام الزهرة ومضت الى لمنوس والتمست معاونة الكرى ، أخي الموت، على زفس . فتمنع الكرى بادىء بدء . واخيراً اذعن لها وسكب طله على عيني زفس فاستولى عليه السبات بين يديها .

وطيرت الخبر الى فوسيذ فاغتنمها خير فرصة ،ودفع الاغريق فانقضوا على الطرواد . وجرح اياس هكطور فاقصاه اتباعه عن موقف النزال . وطلبه الاغريق فلم ينالوا منه مأرباً .

وهناك ازداد الاغريق بأساً ففتكوا باعدائهم وصدوهم وابعدوهم عن مواقف السفن ، وملاوا السهل اشلاء من قتلاهم . فانهزم الطرواد من امامهم واياس في اعقابهم .

يبتدىء هذا النشيد وينتهي ايضاً في اليوم الثامن والعشرين. وقائعه في مضارب اليونان، فطور ايذا ثم في ساحة القتال .

## من النشيد الرابع عشر

اوذيس يرد على اغاممنون اذ اقترح الفرر:

زفس قد علمنا سل السيوف بصبانا والى يوم الحتوف
أبنا رمت ارتداداً وترى بحمى اليون قتلانا الوف
َمه . فلا يسمع سوانا بالفرق نطق عجز ما به قط نطق
لا أخو ذوق ولا قيل ولا قائد مثلك للحرب اندفق
جيشه الجرار كاللب اللباب .

هيرا تستعد لنصرة الاغريق :

من ذرى الالمب من عرش النضار نهضت تلفت هــيرا للاوار
فأخاها ابصرت مندفعاً وحبوراً قلبها الميمون طار[1]
ولايذا ارسلت طرف المها فرأت زفس الذي آلمها
قرّ معتزاً على قنته فكرت في هاجس كلمها
علها تغريه في امرٍ عجاب .

هيرا تفوز بمأربها وتستهوي زفس :

قال : « لا تخشي هنا وشي رقيب من بني الانسان او رب رهيب
لأظلن غماماً شائقاً من نضار دونه الشمس تغيب »
ضمها والارض جادت بالربيع من خزام نشر رياه يذيع
وحواشي زعفران ُكسيت حندقوقاً بله الطل البديع[2]
يتلالا تحت منثور الحباب

---

١ اخو هيرا : فوسيذ اله البحار .

٢ حندقوق : نبتة مثلثة الورق .

# النشيد الخامس عشر

## الوقعة الخامسة وبسالة إياس

استيقظ زفس وانهال على هيرا بالتونيب لحيلتها . فادعت ان فوسيذ نكل بالطرواد لهوى في نفسه . فأمرها باستدعاء ايريس وافلون وانفذهما لاستنهاض الطرواد . وعاد أفلون بهكطور مستعراً بالغيظ والبسالة ، بعد ان بسط أفلون مجنه امام الاغريق وهدّ قلوبهم بمنظره . فانقض الطرواد على الاغريق وذبحوهم ذبحاً وتقدم هكطور بجيشه بصحبة أفلون . فاجتازوا الخندق واوقع الرعب في قلوب الاغريق . وما زال هكطور متفوقاً بغلبته حتى بلغ السفن . وكان فطرقل يشهد كل هذا . فجد مسرعاً الى آخيل يستنهضه ليفزع لقومه . وقام الاغريق فقاتلوا قتال الاسود . على أنهم ما لبثوا ان اضطروا الى الهزيمة . لكن اياس ثبت وصحبه امام الطرواد . وحال دون بلوغ الاعداء سفن قومه . وهمّ هكطور باحراق السفن . وكاد يبلغ مأربه لو لم يقف اياس فيصد الابطال ويجندل الرجال .

لا تزال وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين ، بين طور ايذا والشاطىء .

## من النشيد الخامس عشر

زفس يغضب لحيلة هيرا :

تجاوزت الطرواد حدّ الخنادق يصلهم فيها حسام الاغارق
وحول العجال استوقفوا وتألفوا برعدة مذعور ورعدة خانق
ومن طور ايذا زفس هب ودونه صفيته هيرا فهاج ظنونه
وألفت والاغريق أبصر عقّبوا عداهم وفوسيذ ببطن الفيالق

تجمع الاغريق والتحام الجيشين :

تكاثفت الاغريق يلتف جيشهم وفي ملتقى الجيشين عج الى النجم
طعان مضت من كل ساعد أيهم ووبل سهام عن بطون الكلى يهمي [1]
فمن نافذ في صدر كل مدجج من المرو فهاقٍ سريته تصمي
ومن ناشب في الترب قبل بلوغهم وان طار غرثاناً على العظم واللحم
تساوت مرامي الطعن والفتك ما استوت ،بغير حراك جنة النوب الدهم

الشاعر يظهر هكطور في اوج البطولة :

كرّ حيث الصفوف رصت كثافاً وتلالات مناصل السمهريه ...
ثار فيهم كالليث بين صوارٍ راتع في جدود هور عذيه [2]
لا تطيق الرعاة ذوداً فيجري بينه وهي رعدة ضاويه [3]

---

[1] الكلى : من القوس ثلاثة اشبار من مقبضها .
[2] الجدود : الشواطىء . والهور : مستنقع المياه .
[3] ضاوية : مخيفة

يقنص الليث منه ثوراً وباقيه فلولاً يفر في البريه
هكذا فرت الاراغس منه بل ،ومن زفس ذي القضايا الخفيه

هكطور يدنو من السفائن :

وابن فريام رامح مثل نسر شق اسراب طير بو شقيه
يدهم الرهو والغرانيق والبط باكفاف جدة نهريه
هكذا عن سراه برز هكطور يؤم السفائن الدانويه
فتلاقوا كأنهم ما تلاقوا قبل ما بين عامل وحنيه
لو رأيت النفوس كيف تلظت قلت ذي كرة لهم اولية .
كم حسام أهوى بكف كميّ او بكتف الفوارس المرميه
والثرى اسود وابن فريام قد قام على الفتك صائحاً بالبقيه :
«دونكم نارکم وکروا کثافاً انما اليوم زفس يرعى الرعيه
انما اليوم يوم قشع الرزايا واحتلال السفائن المحميه»

# النشيد السادس عشر

## المعركة السادسة . ومقتل فطرقل

تضرع فطرقل الى اخيل ان يسلحه بسلاحه ليذهب لمقاتلة الطرواد. فرضي اخيل على ان لا يتجاوز الحدود ، بل يصد الطرواد عن السفن . وكانت الاعداء قد تألبت على اياس وخارت قواه . واضرمت النار في احدى السفن واخيل ينظر ذلك . فنادى فطرقل وهو يشك في سلاحه وامره بسرعة المسير . فركب مركبة اخيل والى جانبه افطوميذ رفيقه وحوذيه يسوق الجياد الخالدات . وجمع اخيل قومه المرامد ودعا وصلى . فانقض بهم فطرقل على الاعداء فهزمهم واطفأ النيران المتقدة في السفن . ولم يقف في وجه فطرقل من الطرواد الا زعيم الليقيين . وكاد زفس ينقذه من يد فطرقل لو لم تتصدّ هيرا فتمنعه . فاحتدم غلوكوس الليقي وتقدم بقومه صيانة لجثة زعيمهم . فما اغناهم ذلك عن شيء بل انتهى الامر بالتواثم واستيلاء الاغريق على اسلاب ذلك الزعيم . واما جثته فطار بها افلون الى ليقيا . فثمل فطرقل بخمرة الانتصار ولم يأخذ بأمر اخيل . فاندفع اليه هكطور فقتل فطرقل حوذي هكطور. فتقدم افلون بنفسه وضرب فطرقل وجرده من سلاحه . فبات اعزل لا يقوى على الدفاع فطعنه أوفرب واجهز عليه هكطور. وجرى في طلب خيل اخيل فارخى لها افطوميذ العنان فطارت به وتوارت .

وقائع هذا النشيد ايضاً في اليوم الثامن والعشرين .

## من النشيد السادس عشر

فطرقل يضرع الى اخيل فيرق له :

بذاك الغراب استطار الوحى وفطرقل نحـو أخيل عدا
تساقط عيناه دمعاً سخينا كأسحم ماءٍ بصخرٍ جرى
فهزت أخيل لرؤيته عواطف رق وفرط اسى
فمال اليه وقال : « اذاً أفطرقل قل لي علام الشجى
فقم بسلاحي وسر بالمرامد فقد ادرك الفلك جيش الطراود
وبالثغر قد حصروا قومنا فضاق عليهم مجال المجاهد
واليون خلفهم اندفعت كأن لها النصر القى المقالد
وما لقيت بطلائعهم تريكة اخيل تلقى السنا . »

فطرقل يخمد السفائن المشتعلة ويبدد العدى :

مقابسهم غادروا بالتهاب وقد الهبت نصف ذاك الغراب
ففطرقل اخمدها والعدى تبدد شملهم باصطخاب .
عن الفلك شتّ العدو وقد بدا فرج بعد طول العنا .

مقتل سرفيذون بعامل فطرقل :

ففي سرفذون السنان انتشب على عضل القلب حيث انتصب
فأهوى يصرّ امام العجالِ باسنانه والحضيض اختضب
كملولة او كصفصافة وباسقة الارز فوق الهضب

بها نفذ الحدّ في كفّ وثار فلكٍ متين الجذوع يُرى .

فطرقل وهكطور يتنازعان جثة قيريون اخي هكطور :

وهكطور عن خيله نزلا وفي طلب الجثة اقتتلا
كليثين بينهما ظبية بها فتكا فوق طود علا
كلا البطلين يهيج احتداماً لیعمل في نده الاسلا
فهكطور بالرأس ممتسك وفطرقل بالقدمين كذا .

فرار فطرقل جريحاً :

ولكن فطرقل هد قواهُ سنان القناة وروع الاله
لذاك تنصل خوف المنون الى صحبه لائذا بسراه
وهكطور لما رآه جريحاً تقفاه بينهم ورماه
فشق الصفاق لاحشائه فخرّ وقلب ذويه ذكا .

فطرقل وهو يحتضر يتنبأ بقتل هكطور :

ومني خذ نبأ صدقا ففطرقل بالحق قد نطقا
فما انت بعدي حيّ طويلاً فان الردى بك قد احدقا
وقد حان حينك فاشق به قريباً بكف أخيل اللقا[1]
ومن ثَمّ اسبل ظل الظلام عليه ستار الردى فطفا

وعامله اجتز من صدره والقاه فيه على ظهره
وفي نفسه قتل أفطومذ فاقبل ينقض في إثره[2]
ولكن الف أخيل بخيل أخيلَ توارى على قهرهِ
وليست لتدرك بين الملا عتاق بها زفس فيلا حبا .

---

١ كانوا يعتقدون انه اذا احتضر المرء خفت نفسه وادرك المغيبات فتنبأ وهكذا فعل فطرقل .
٢ افطوميذون : رفيق فطرقل .

# النشيد السابع عشر

## المعركة السابعة حول جثة فطرقل

تحرق منيلاوس لقتل فطرقل فتقدم يدافع عن جثته . وكان اوفرب يجردها من السلاح فقتله منيلاوس ثم تقهقر من وجه اخيل واستعان باياس . فأقبل اياس وهكطور يوشك ان يقطع رأس فطرقل فصده . فاقبل غلوكوس يؤنب هكطور لتخليه عن سرفيذون والتوائه امام اياس . فشك هكطور بسلاح اخيل ونادى صحبه فانقضوا على الاغريق . والتحم القتال حول القتيل وكل طامع في الاستيلاء على شلوه . ولم يكن النبأ قد طار الى اخيل بمقتل حبيبه . ولما توارت جياد اخيل عن ميدان الحرب ذرفت الدموع حزناً على فطرقل . فرق لهـا زفس واهبط عليها قوة جديدة . فانثنى افطوميذ بها الى ساحة القتال . ثم ألقى بالاعنة الى رفيقه القيميذ واخذ يقاتل راجلا . فاندفع هكطور ، وانياس ونفر من أبطال الطرواد في طلب تلك الجياد ، واشتد الكر والفر .

وجرت جياد اخيل مسرعة فتوارت بالمركبة عن الطرواد . واخذت اثينا بيد منيلاوس وأفلون بيد هكطور وأرعد زفس فارعب الاغريق فاستظهر عليهم الاعداء . وظل الاياسان يدفعان العدو عن جثة القتيل . فسار بها منيلاوس ومريون الى المعسكر . وانهزم الاغريق الى ما وراء خندقهم ، تاركين السلاح في الحفير .

وقائع هذا النشيد في مساء الثامن والعشرين ، في السهل وعلى الجرف.

## من النشيد السابع عشر

القتال حول جثة فطرقل :

ودام حول جثة القتيل مشتجر الرماح للاصيل
حتى وهت اعضاء تلك الفرق من عيها وسبحت بالعرق
فالتوت الركبة والشظيه خارت تقل القدم المضويه
وكفت الكف وكف البصر والجسم طراً سابح معفر
تألبوا تألب الاتباع بأمر سيد لهم مطاع
داروا حوالى جلد ثور مدا والشحم سيال عليه امتدا
تجاذبوا حتى البلال نضحا والشحم للجلد ملياً رشحا
وهكذا تجاذب القومان جثة فطرقل بجهد العاني

صافنات اخيل تبكي فارسها فطرقل . وهي من الجياد الخالدات :

هذا وصافنات أخيل انبرت في عزلة تذرف دمعاً مذ درت
بأن روّاض متونها هلك وفيه هكطور اخو البأس فتك
وقد أبت تسير نحو البحر للفلك او نحو السرى ان تجري
بل لبثت صماء كالعمود على ضريح سيد عميد
وهي لدى المركبة العجيبه بلا حراك تندب المصيبه
والدمع من بين مآقيها جرى من كبد حرى الى وجه الثرى
وانبسطت اعرافها المخضبه مسدولة من فوق عرش المركبه

# النشيد الثامن عشر

تفجع اخيل على فطرقل . ووصف الترس الذي صنعه له إله النار .

علم اخيل بموت فطرقل فبكى وانتحب فسمعت امه ثيتيس أنينه وهي في لجة البحر . فصعدت اليه مع بنات الماء . فأخذت تصبره وهو لا يتصبر ، ولا يرى الا الانتقام . وكان فطرقل قد ذهب بسلاح اخيل فبقي اعزل لا قبل له بالتقاء الاعداء على تلك الحال . فثبطته امه ريثما تحضر له شكة في اليوم التالي من صنع اله النار . فصرفت زميلاتها وصعدت الى الاولمب . فتلاحم الجيشان حول جثة القتيل . وكاد هكطور يظفر بها ، لو لم تأت ايريس من قبل هيرا وتأمر اخيل بالاقبال من بعيد على الطرواد . فاقبل الى حافة الخندق وصاح ثلاث صيحات . فارتاع الطرواد وانهزموا وخلا الاغريق بجثة فطرقل ، واتوا بها قبيل المغرب الى خيمة اخيل . وعقد الطرواد مجلسهم . فاشار فوليداماس بالتحصن في المدينة ، فأبى هكطور الا البقاء خارجها . فقضوا ليلتهم متيقظين والاغريق واخيل يندبون فطرقل . فغسلوه وطيبوه . واما ثيتيس فدخلت صرح اله النار فرحبت بها زوجته . ثم اتاها بنفسه فبثت له شكواها والتمست سلاحاً لابنها . فدخل معمله واصطنع الترس العجيب والدرع والخوذة والخفين . والقى بهن اليها ، فاندفعت بها اندفاع الصقر .

وقائع هذا النشيد في اليوم التاسع والعشرين وليلة الثلاثين . ومجرى حوادثه في مضارب اخيل ، وفي منزل اله النار .

## من النشيد الثامن عشر

بينما اخيل هاجس بسبب تأخر فطرقل ، اذا بانطلوخ يطلعه على النبأ الفاجع :

تلك الهواجس هاجت لبه فاذا  بانطلوخ بدا والدمع ينسجمُ
قال: «ابن فيلا مصاب قد دهمنا به  يا حبذا لو بنو العلياء ما دهموا
فطرقل ملقىً وهكطور بشكته  والجسم عارٍ عليه النقع ملتحمُ »
فما انتهى انطلوخ من مقالته  حتى محيا أخيل غشت الغمم
وفوق طلعته الغراء هامته  براحتيه سناجاً[1] ذر يلتطم
أكبَّ يشغل ميداناً بقامته  تمرغاً وهو زاهي الشعر يصطلم
وحوله انطلقت تبكي مولولة  تلك السبايا التي غصت بها الخيم .

ثيتيس تطلع ولدها اخيل على موته العاجل بعد ان يظفر بهكطور:

صاحت وسحت على الخدين عبرتها  اذاً حياتك كادت آه تنصرم
هلاك هكطور يتلوه هلاكك لا  مرّى : « اذا يا حبذا الشمم
يا حبذا الموت اذ غلت يدي سلفاً  عن صون إلفي لما اشتدت الازم
فطرقل اودى ولم ابرز لجانبه  أقيه من صدمات تحتها اصطدموا
فالموت فالموت لا عود ولا وطن  اذ لم اهبّ الى الهيجا اصونهم » .

الاياسان يعملان على صد هكطور عن جثة فطرقل ولا يفلحان :

ما زالت الاغريق تحت القسطل  من وجه هكطور المدمر تنجلي

---

[1] السناج : الرماد

كشرارة هكطور هبّ يرومه بعجاله ولفيف ذاك الجحفل
أحنى ثلاثاً قابضاً قدميه ، وهو يصيح : يا جند الطراود أقبلي
وكذا ثلاثاً صده عزم الاياسين المذلل عــزم كل مذلل
لكنه ما انفك عن عزماته متدرّعاً بزمام قرم قيّل
متربصاً طوراً يجد وتارة يلج العباب بكرة المستبسل
لم يبلغــا أرباً بــه لكنه من حول ذاك الشلو لم يتحولِ
كالليث ضوره الطوى بفريسة يخلو ويزري بالرعاة البسل .

اخيل يصيح بالطرواد فتهلع قلوبهم فينهزمون ويخلو الاغريق بجثة فطرقل :

صدعوا واعراف الجياد تطايرت جزعاً وفرت خيلهم بتجفل
فوق الخفير علا ثلاثاً صوته وكذا ثلاثاً اجفلوا بتبلبل
فخلا بفطرقل الاغارق وانثنوا نائين عن مرمى الرماح الذبّل .

هكطور يأبى الا الثبات لآخيل :

وان طر وجه الصبح دجج جيشنا فتعقد دون الفلك كرته العقدا
فان كرّ آخيل الى ساحة الوغى رأى عجباً من قبل ان يرد الوردا
أبارزه لا هالعاً او مولياً ولا بد منا ماجد يحرز المجدا
لكلّ همام كانت الحرب منهلاً فكم بطل منها يصد العدى اصدى[1]
فضجت له الطرواد جهلاً وما دروا بان أثينا قد أضلتهم عمــدا

---
[1] اصدى : مات

قسم اخيل حول جثة فطرقل :

افطرقل مذ سيقت لذا الترب اعظمي وبعدك لي قد خط ان انزل اللحدا
فلست مقيماً مأتماً لك قبل ان اذيق الردى هكطور قاتلك الجلدا
وشكته تلقى لديك ورأسه فاذكي لك النيران مدخراً حمدا
ومن حوله اثني عشر رأساً بصارمي أقضب من طروادة فتية مردا
فظل اذاً ملقى لدى الفلك ريثما أبرّ فذا عهدي ولن أخلف العهدا .

# النشيد التاسع عشر

## مصالحة اغاممنون واخيل

ما انبثق الفجر حتى انبرت ثيتيس الى ابنها اخيل بالشكة التي اصطنعها اله النار وحسنت له مصالحة اغاممنون . وافرغت في منخري فطرقل مادة تحفظها من الفساد . فحشد اخيل الجمع وتصالح مع اغاممنون وتأهب للقتال . فاعترف اغاممنون بخطأه . ورغب الى أخيل ان ينتظر التحف والهدايا . فأبى الا الكر بلا توانٍ . فاعترضه اوذيس محتجاً أنه لا بدّ للجيش من تناول الطعام . ودعا اخيل الى الغداء في مضرب اغاممنون . فأتى . لكنه آلى ان لا يذوق طعاماً قبل ان يثأر لفطرقل .

فأكل الجيش وأحضرت تحف اغاممنون ومعها بريسا سبية اخيل وأقسم اغاممنون امام الجمع انه لم يمسسها اثناء اقامتها عنده . وأرسلت التحف الى خيام اخيل . واخذت الجواري وبريسا يبكين فطرقل ويندبنه ، واخيل متوجع لا يرى الا القتال ولا يقبل تعزية .

ثمّ تقدم بالجيش مستلئماً درع هيفست . وشد أفطوميذ الخيل الى مركبته . فاعتلى وعنف الجياد . فنطق أحدهما وأنبأه بمصرعه القريب فلم يعبأ بنبوءاته .

## من النشيد التاسع عشر

ثيتيس تأتي ابنها اخيل بالعدة التي صنعها له اله النار :

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد     من يمه يبرز فوق البلاد[1]
يرمقه معبودها والعباد

حتى انبرت فوق الخلايا ثيتيس     في تحف الرب هفست تميس
فأبصرت آخيل فوق الثرى     معانقاً فطرقل واري الفؤاد
بنيّ قم وارفل أتاك السلاح     من لدن هيفست زهيّ الصفاح
ما قط أنسيّ به قبل لاح

من ثم القته لديه فصل     وهد قلب المرمدون الوجل
لم يستطيعوا رمق انواره     بل عنه صدوا جملة بارتعاد

وصف بريسا تتفجع على فطرقل :

أهوت عليه بالبكا والعويل     تلطم ذياك المحيا الجميل
وصدرها البض وجيداً أميل

كأنها الزهرة في المشهد     جللها فرع هوى عسجدي
صاحت : «ايا فطرقل ويلاه     يا خلّ فتاة لازمتها النآد»

اخيل يتفجع على نفسه في بكائه فطرقل لعلمه بدنوّ اجله . ويتمثل تأثير نعيه لدى ابيه اذا بقي حياً :

فان فيلا الهم لا شك مات     أو انه في جرف اللحد بات
يشفق يوماً ان توافي الثقات

---

[1] الجساد : الزعفران الاحمر

مبلغة حتفي له بغتة . وجاد بالدمع وهم جملة
هزتهم الذكرى لاوطانهم وكلهم بفائض الدمع جاد

زفس يرق لآخيل فيرسل أثينا تسكب في صدره عنبر العزاء والصبر:

هيِّ اسكبي العنبر والكوثرا في صدره الضامر كي يصبرا
فانبثقت من شم تلك الذرى
كنسر بحر في عظيم الجناح يدوي بساحات الرقيع الفساح
قد هاجها زفس وفي نفسها ودّ لآخيل فلا تستزاد

من وصف شكة اخيل :

ثم كسا الصدر بدرع تنير وبين كتفيه الحسام الخطير
من فضة قد دق فيه القتير
والجوب ذاك الجوب انى ارتفع كالبدر بدر التم نوراً سطع
في قبة الجو مضى لامعاً ينير اطراف الرقيع البعاد

# النشيد العشرون

## تحفز الآلهة للقتال . وبطش اخيل

عقد زفس مجلسه وأذن للآلهة بمعاضدة اي شاؤوا من الفريقـــين . فانحازت هـيرا ، واثينا ، وفوسيذ وهيفست الى الاغريق ، وآذيس ، وافلون ، وأرطميس ، ولاطونة ، وزنتس والزهرة الى الطرواد . فاتخذ افلون هيأة ليقاوون وحث أنياس على البروز لآخيل. فرأت هيرا ان تنفذ فوسيذ وأثينا لشد ازر اخيل . ولكن افلون رأى ان الاجدر بهم أن تجتنب الآلهة قتال البشر وترقبهم عن بعد .وأبى انياس أن يرجع عن مبارزة اخيل. وكاد يهلك لو لم يبادر فوسيذ الى انقاذه فغشى على بصر اخيل. فاقبل اخيل يستحث صحبه على الفتك بالاعداء. وهكطور من الجهة الأخرى يستنهض همم صحبه . وهمّ بالاقبال عـــلى اخيل فصده أفلون . وانقض اخيل على الطرواد فذبحهم ذبحاً حتى فتك باحد ابناء فريام الملك . فكرّ هكطور يثأر لاخيه . وكاد البطلان يصطدمان لو لم ينقذ أفلون هكطور ويواريه في سحابة . ولما لم ينل اخيل منالاً من هكطور جعل يبطش يمنة ويسرة بجنود الطرواد حتى جرت مركبته فوق القتلى .

وقائع هذا النشيد في اليوم الثلاثين ايضاً .

### من النشيد العشرين

أنياس يبرز الى اخيل :

والارض تحت الرجل والعجلِ مادت لوطأة هذه الملـــل

من كل جنس زف مقتحماً بطل تحدّم ايما بطلِ
انياس رب البأس قابله آخيل رب البيض والاسلِ
هزّ القناة مبرزاً وعدا انياس في الميدان منجردا
في رأسه اعراف خوذتهِ قد هاج يرفع صلد جنته
فانقض آخيل كليث شرى نهض الجموح لكسر شوكته
فزعت لهم كلّ البلاد فلم يعبأ وظل على سكينتهِ
حتى رماه بهم فشتتهم بقناً واحدق مرغياً زبدا

انياس يأبى الا مبارزة اخيل :

« كلا فلست برائعي جزعا أقبل نجل صمّ النصال معا »
من ثمّ أرسل رمحه فمضى وعلى المجن سنانه وقعا
فعليه صل وفوق هامته آخيل جلد مجنه رفعا
قد خاف أن الرمح يخرقه لكنما ذا الخوف كان سدى

...

هيهات عجز الانس يعمل في ما أوتت الارباب من تحف
وقع السنان على النضار فلم ينفذ ولولا ذاك لم يقفِ
خمس طباق الترس طرّقها هيفست تدفع آفة التلفِ
نضد اثنتين من الفلزّ على ظهر المجن ونعم ما نضدا

اخيل يفتك باحد ابناء فريام فيحتدم هكطور ويبرز لاخيل :

آخيل وافاه بعدوته في الظهر ينفذ حد صعدتهِ

حيث النجاد هناك بكتفه حلق النضار ووصلُ لأمته
نفذ السنان ازاء سرته فأكب يشهق فوق ركبته
امعاؤه اندفعت فامسكها بأكفه للارض مستندا

فرآه هكطور فهاج أسى فوراً وعينيه الظلام كسا
فانقض مثل النار يؤلمه ان ظل من آخيل محترسا
بشحيذ منصله انبرى ومضى يجري أخيل وباللقا أنسا
قال : اطمئني نفسُ هاك بدا من قد اذاب حشاشتي كمدا

فتك اخيل بالطرواد بعد نجاة هكطور :

ومن المحالات النجيع غدا ومن الحوافر طائراً امدا
متفجراً سيلاً يخضب ذاك الجذع تحت الخيل والعددا
وأخيل للشرف الرفيع ، وللعز المنيع به المرام حدا
وبراحتيه وقد تخضبتا نقع النجيع على الدما جمدا

# النشيد الحادى والعشرون

## وقائع اخيل وقتاله الآلهة

انهزم الطرواد امام اخيل حتى دخلوا ضفة نهر زنتس . وزاد بينهم الرعب فاندفع بعضهم الى المدينـة وألقى الجم الغفير منهم بانفسهم الى النهر . وقبض اخيل على اثني عشر فتى غض الشباب ليقتلهم بدم فطرقل . ثم التقى بليقاوون بن فريام فقتله وطرحه في النهر . فحنق النهر وحث عسطروف على قتاله فظفر به اخيل وبعدد من صحبه . فسالت الدماء الى النهر وارتفعت فيه الاشلاء . فهاج وطاف على اخيل ليغرقه . فبادرت اثينا وفوسيذ لاغاثته فنجا . فاستصرخ ذلك النهر نهر سيمويس المحـاذي له وتألبا على اغراق اخيل . فـكاد يغرق لو لم تبادر هـيرا الى انقاذه . فانقض هيفست واشتعل والهب الضفتين وجفف المياه الطاغية في السهل ، فالتمس النهر رحمة هيرا فتشفعت له . وهناك انحدر الآلهة الى حومـة الوغى والتحم القتال بينهم . فبرزت اثينا لاله الحرب فصرعته . وبادرت الزهرة فذهبت به ، فتعقبتها اثينا ولطمتها . وبرز فوذيس الى افلون . ثم انبرت هيرا فلطمت ارطميس واجترت من على كتفها قوسها وكنانتها . فشكت أرطميس أمرها الى ابيها زفس فطيب خاطرهـا . ثم دخل أفلون الى اليون ورجعت الآلهة الى الاولمب .

وظل اخيل متدفقاً كالسيل وفريام يراه من فوق البرج. فامر الحرس بفتح الابواب ليتسنى لشذاذ الجيش المنهزمين ان يدخلوا. وانهض أفلون البطل اغينور فتربص للقاء اخيل، وكاد يهلك لو لم يبادر أفلون لاغاثته، فواراه ثم تمثل بهيئته وانهزم امام اخيل فابعده عن الحصون حتى لجأ جميع الطرواد الى مدينتهم، ولم ينج منهم الا حثيث الخطى.

لا تزال وقائع هذا النشيد في اليوم الثلاثين.

## من النشيد الحادي والعشرين

احتدام النهر زنثس وثورته على اخيل:

وحول ابن فيلا جحافاً جزافا ... تدافع حتى على الجوب طافا
به قدماه تقلقلتا ... فما بهما بعد ذا ثبتا
تشبث بالمهجة الزاهقه ... بدردارة غضة باسقه
فمالت وآصلها تتفكك ... الى الارض أهوت به تتبتك
ويانع اغصانها انتشرا ... ووجه الحضيض بها انقشرا
وظلت كجسر عظيم يحول ... وصدت مجاري تلك السهول
فريع أخيل وفر يطير ... الى السهل فيه حثيثاً يسير
ولكن تقفاه ذاك الاله ... بتياره المدلهم وراه
يروم له ذلة وانخذال ... فيكفى الطراود شر الوبال
فخف أخيل كطير يدف ... على بعد مرمى الرماح يزف

كحالك نسر عثا بالطيور وقصر عنه هفيف الصقور
وراح يفر على ذعره يصلّ السلاح على صدره

يتضرع هكطور الى زفس لينجيه من الغرق ثم يعاتبه ويتمنى اخيراً لو مات بسيف هكطور :

علام بعامل هكطور لا هلكتُ وأخبره البطلا
لو اجتاحني وسلاحي سلب لقيل : هماماً هماماً ضرب
على انني اليوم في ذا المكان أموت بذا النهر موت الهوان
كراعي خنانيص غر ولج خليجاً فما منه قط خرج
فلما انتهى فوسذ اسرعا لنجدته وأثينا معا .

# النشيد الثاني والعشرون

## مقتل هكطور

لم يبق من الطرواد خارج الاسوار الا هكطور فانقض اخيل عليه فشهد فريام ذلك واستحلف ابنه ان يتقي الخطر ، وهكذا ايقاب امه ، لكنه لبث مكانه لا يتزعزع واذا بآخيل يدركه على حين غرة فانهزم وجرى اخيل بأثره حتى دار ثلاثاً حول اليون . فاراد زفس انقاذ هكطور فعارضته اثينا . فاخذ زفس قسطاسه ووزن قدر الفريقين فاذا بقدر هكطور قد حل فتخلى عنه افلون. وتمثلت أثينا بصورة ذيغوب اخي هكطور واوعزت اليه ان يتواثق واخيل على ان القاتل منهما لا يدنس جثة القتيل . فأبى اخيل موافقته على شيء . فتبارزا. فاطلق هكطور رمحه فلم ينل من خصمه ارباً . فالتفت الى اخيه واذا به قد توارى فعرف الخدعة واستبسل ، وقاتل حتى خرّ صريعاً . وقبل ان تفيض روحه سأل اخيل ان يعيد جثته الى اهله . فشتمه اخيل . فتنبأ له هكطور ساعة الموت بالحمام القريب .

فاجتمع الاغريق حول الجثة ومثلوا بها . ثم ربطها اخيل الى مركبته ودار بها حول البلد والطرواد ينظرون ويتوجعون ، والنساء يندبن وينتحبن . وكانت اندروماخ امرأة هكطور غافلة ، لا تعلم بما جرى . فسمعت عويل حماتها ، فصعدت الى البرج تستطلع الخبر ، فرأت الجثة فاغمي عليها ، ثم استفاقت ورثت زوجها رثاء تنفطر له الاكباد .

## من النشيد الثاني والعشرين

ذعر الجيش الطروادي ، وفراره الى المعاقل :

قضيض الجيش مذعرا هزيماً كالظبي نفرا
الى اليون حيث هناك خلف حصاره انحصرا
يجفف في ظلال قلاعه ، عرقاً به سبحت
كتائبه ، ويروي غلة فيها قد استعرا
وراءهم الاخاءة والجواشن في عواتقهم [1]
جروا لكن هكطوراً تربص يرقب القدرا
لدى ابواب اسكيا قضاء الشؤم ثبطه
وبابن اياك افلون أحدق يصدق الخبرا [2]

من رجاء فريام ولده هكطور ، مصوراً ما ينتاب الرجل الهم في مثل هذه الحال :

لئن مات الفتى الجلد وفيه انفذ الحد
صريعاً ظل لكن جلّ فيه الحسن والمجد
ولكن حيث شيخ العجز حرمته قد انتهكت
كلاب دسن شيبته وناصع لحية تبدو
فتلك النكبة الدهماء لا رزء يشاكلها

---

١ الجواشن : التروس

٢ اياك : جد اخيل

برأى البؤس ما اشتدت به ارزاؤه الادّ
وظل ينوح مصطلماً بكفي عجزه شعرا
وهكطور يصد كأنه بأبيه ما شعرا

توسل امه :

هنالك امـــه اندفعت بهاطل عـبرة همعت
لديه صدرهــا كشفت وثدييهـــا له رفعت
وصاحت : «آه هكطور بني ارفق بوالدةٍ
وهذا الصدر فارع فكم بعهد صباك قبل رعت
وهذا الثدي فاذكر كم رضعت فنحت مبتهجا
تعال تعـال فالاسوار في وجه العدى امتنعت
اليهـــا لذ وقاتل ذلك العـــاتي بسترتهـا
ولا تتربصنّ له وحيداً ، واتق الخطرا . »

هكطور يقدم بعد ددتر :

فما هذا المجال هنا مجال للحديث لنا
فابذل في الخطاب له عميق السر والعلنا
كما شاق الحديث فتىً وغايته بلا حرج
لدى ملولة او صخرة في ظلها أمنا
فليس لنا سوى قرع النصال اجل بلا مهل
فيظفر من ابو الاولمب زفس دماءه حقنا
كذلك ثار هاجسه وآخيل بعـامـله

كرب الحرب هيّاج الترائك للوغى ابتدرا .

بأس هكطور وقد عانده القدر بارتداد نصله عن درع اخيل :

وسلّ حسامه من غمده بلباقة ومضى
بقلبٍ لا تغيره الخطوب ولا يرى الغيرا
كنسر من على السحب يزف الى ربى كثب
على حمل يرى او ارنب في مُشعب الهضب
وآخيل انبرى متضرماً غيظاً بعزمته
بجنته التي في الكون أضحت آية العجب
وخوذته التي من صنع هيفست بهامته
تهيج مثيرة ويهيج فيها قونس الذهب
وصعدته تؤج كما بليل حالك سطعت
تفوق الزهر كوكبة المساء وتبهج النظرا [1]

مقتل هكطور :

فسرح طرف مقلته بهكطور وشكته
ليبصر منفذاً فيه يواري حد صعدته
وهل تمضي النصال بعدة فطرقل كرّ بها [2]
وما هي قط غير سلاح آخيل ولأمته

---

[1] كوكبة المساء : الزهرة ، ويدعوها ايضا كوكبة الصباح

[2] هو سلاح فطرقل نفسه الذي البسه اياه اخيل وغنمه هكطور عند قتله هذا البطل.

فابصر بعد حين نحره برزت مفاصله
فبين الجيد والكتفين بادره بطعنته
فغار سنانه في مخرج الارواح منتصبا
ولكن في مجاري الصوت والانفاس ما صدرا

آخيل يأبى ان يجيب على رجاء هكطور بمنح جثته لذويه :

وددت لو انني غضبا بلحمك اقتل السغبا
لما جرعتني غصصاً وما اورثتني كربا
فلا غير الكلاب تشق رأسك لو همُ بذلوا
فداءك عشر او عشرين فدية ميت ذهبا
ولو فريام أدى ثقل جسمك عسجداً صرفاً
فامك حول نعشك لن تفيض اسى وتنتحبا

صورة الموت :

واسبل فوق مقلته ظلام الموت سترته
وأمت روحه سقراً تطير على اسى وشجى
وتندب بأسه وشبابه ومصيره فثوى ،
هناك وصاح آخيل بذاك الفوز مفتخرا :
« الا مت صاغراً وانا أموت اذا الحمام دنا .. »

نشيد الاغريق لدى مقتل هكطور ، والتمثيل به :

« قتلنا القرم هكطورا وعاد الجيش منصورا

فاين فتى الطراودمن كرب كان مقدورا »
وبالغ في الهوان فشق كعبيه يشدهما
بسير للعجال وظل رأس الميت مجرورا
وحل بعرشه وسلاح هكطور براحته
وساق الجرد فاندفعت تثير النقع ديجورا
وحالك فرع تلك الهامة الحسناء منتشر
عليها وهي سائلة دماها تلطم الحجرا. »

أندروماخ تسمع النواح فتطلب من جواريها ان يرافقنها الى البروج :

والا منكن ثنتان معي فوراً تسيران
لننظر ما جرى فبكا حماتي هاج اشجاني
فقلبي خافق حتى يكاد يطير فوق فمي
وثقلة ركبتيّ تكاد تطرح جسمي العاني
ارى خطباً فظيعاً داهياً ابناء فريام
فلا طرقت نواعي الخطب آه وآه آذاني
كأني بابن فيلا دون قفول هكطور
وفي آثاره في السهل صال عليه مهتصرا . »

اندروماخ تندب هكطور بعد ان استفاقت من اغمائها :

وصاحت تفطر المهجا ايا هكطور واوهجا
اطالعك الشقي بطالعي من يومه امتزجا
ولدنا انت في طرواد بين قصور فريام

وفي ثيبا انا في صرح إيتين لعيش شجى
نشأت وليتني ما ان نشأت بنعمة لأبي
فيا لشقا ابنة وشقا أب بنشوئها ابتهجا

وصف بعض ما ينتاب ابنها من ذل كما تتصور :

يجر رداء ذا خجلا ويسحب برد ذا وجلا
وان هو نال منهم نال كأساً ما روت نهلا
يبل بمائها شفتيه ظمآناً على ظماء
وهيهات اللهاة على صداها ترتوي بللا !
ورب فتى فخور في ابيه وامه قحة
على الابواب يلطمه ويصرخ فيه : قم عجلا
لعنت فما هنا لابيك حظ في ولائمنا
فيرجع استياناس الي ينوح منتهرا[1]

هوان هكطور :

وعرياناً لدى السفن غدوت بزي ممتهن
وكم من حلة لك في الديار تجل عن ثمن
سأطرحها جميعاً للهيب وليس لي ارب
بها ، من بعد أن حرمت على ذياك البدن
لتذهب حرمة لك من لدى الطرواد محرقة
لذودك طول عمرك عن ذمار الاهل والوطن
كذلك اندروماخ بلاهب لبها ناحت
وكل نساء إليون ذرفن لنوحها العبرا .

١ استياناس : ابن هكطور

# النشيد الثالث والعشرون

## مأتم فطرقل

شرع اخيل يتأهب لمأتم حبيبه فطرقل فأمر باعداد الطعـام . فسأله اصحابه أن يغتسل من الدماء التي تخضب بها . فابى ذلك الى ان يدفنه . وبعد رجاء كثير تناول شيئاً من الطعام في مضربه . وارفض الجمع كلٌّ الى مرقده .

فظهر فطرقل في الرؤيا لآخيل وطلب اليه ان يعجل بدفنه . فمد اخيل يده ليقبله فاستيقظ فاذا به في حلم . ولما بزغ الفجر اسرع الجند الى جبل إيذة للاحتطاب فجمعوا الوقود والقوا عليه الجثـة . فقص اخيل شعره ليحرق مع القتيل . وذبح خيلاً واثني عشر فتىً من الطرواديين ليحرقوا فوق جاجمه

واما هكطور فحفظته الزهرة وافلون من الفساد . واضرموا النار فلم تضطرم الا قليلاً . فتضرع اخيل الى الرياح فبادرت واضرمت النار.

ولما احترقت الجثة ، جمعت العظام ودفنت . ثم تهيأوا للالعـــاب المعتادة . واعـــد اخيل الجوائز . فتسابقوا بالعجال . ثم برزوا للكام والصراع والسباق عدواً ، والبراز بالسلاح ، والتخاطر بقذف الكرة ، والمناضلة ، وزج الرماح . وهكذا انتهت الحفلة .

ينتهي اليوم الثلاثون في اول هذا النشيد . وفي الليلة التالية يظهر فطرقل لآخيل . واليوم الحادي والثلاثون للاحتطاب . والثاني والثلاثون لاحراق الجثة . والثالث والثلاثون للالعاب . ومجرى ذلك على شاطىء البحر .

## من النشيد الثالث والعشرين

وصف الذبائح لاعداد وضيمة فطرقل :

من ثم حلوا صاهلات الجرد  ونزعوا زاهي السلاح الصلد
وحول فلك ابن اياك التأموا  وذلك الزاد الشهي اقتسموا
فمن خرافٍ ، وثيار غرِّ  هالعة تخفق عند النحر
ومن عنوز ثاغيات ترتجف  امامها الجزار بالنصل يقف
ومن رتوت صلدة الأنياب  تسيل شحماً باللظى اللهاب

ظهور روح فطرقل لاخيل :

فروح فطرقل بطيف الحلم  قامت على هامته كالجسم
بقده والحلل المسدوله  وصوته والمقل الجميله
قالت : أآخيل له طاب الكرى  حتى عن الحبيب غض النظرا
اهملني ميتاً فهلا ذكرا  وداده لي وانا حيّ ارى
بادر الى دفني حتى أعبرا  ابواب آذيس ولا أحقّرا .
فقال آخيل : «علامَ يا منى  نفسي اتيتني بذا البحث هنا
فكل ما رمت سيجري علنا  فادنُ فعانقني فلاعج العنا
نوري ونروي بالعناق الشجنا »

ومد كفه الى العناق  لكنه فطرقل لم يلاقِ
فروحه مثل الدخان طارت  صافرةً وفي الثرى توارت
فقام آخيل وكفيه صفق  بدهشةٍ ثم لسانه انطلق

# النشيد الرابع والعشرون

## اعادة جثة هكطور الى اهله

إرفض جيش الاغريق الى سفنهم ، يستطيبون الزاد والرقـــاد ، واخيل يؤرقه ذكر فطرقل . ولمـــا لاح الصباح دار ثلاثاً حول قبر فطرقل بجثة هكطور . فعطفت الآلهة على هكطور وسعت في إنفاذ هرمس لرفع الجثة فعارضتهم هيرا واثينـــا . فاستدعى زفس ثيتيس وانبأها بأنه يود ان يعيد اخيل جثة هكطور الى والده الشيخ . فذهبت ثيتيس بالامر فاستمع اخيل مطيعاً . ثم انفذ زفس ايريس الى فريام يأمره بافتداء ابنه . فاخبر فريام امرأته بذلك فعارضته ولم تذعن حتى اطمأنت برؤية نسر ارسله زفس . فركب فريام مركبتـــه واستصحب اذيوس فادركه هرمس في السهل ورافقه حتى ادخله الى خيمة اخيل ولم يشعر به احد.

فقبل اخيل الفداء وسلم فريام الجثة ووادعه احد عشر يوماً ليتسنى له القيام بمأتمه . ولما اظلم الليل ايقظ هرمس فريام وسار به الى اليون . ولما قارب البلد ابصرت كسندرة ابنته جثة اخيها يعدو بها ابوها . فصاحت وناحت واندفع الناس افواجاً لملاقاة ملكهم . فدخل فريام واستقبله الجمهور . ورثت هكطور امرأته اندروماخ وامه ايقاب ، وامرأة اخيه هيلانة .

ثم بادر الجمع الى الاحتطاب واضرموا النار ، وقضوا بالمأتم عشرة ايام . ثم جمعوا عظامه ودفنوها في قبر اعدوه لها . وقدم لهم المليك طعام الوضيمة .

يستغرق هذا النشيد ثلاثة وعشرين يوماً ، منها اثنا عشر يوماً اثناء اقامة جثة هكطور في خيمة اخيل ، واحد عشر يوماً مدة المدنة . وبجرى الحوادث في خيمة اخيل واليون .

## من النشيد الرابع والعشرين

وصول فريام الى مضرب اخيل وهو الى مائدة الطعام ، مع اثنين من رفاقه :

قام والزاد لايزال لديه     وهما قائمان بين يديهِ
كلهم ما رأوه فانسل وانصب على ركبتي اخيل انصبابا

ويديه اللتين كم من فتى جلْ من بنيه ابادتا قبلُ — قبّلْ
دهشوا عندما على النور أقبلْ

دهشةَ القوم من وفود غريبِ     ساقه فادح القضاء المريبِ
قابلاً من بلاده فرّ يلجا     لديار امرىء تعالى جنابا

فاجالوا الابصار باستعجابِ     وهو ألقى خطابه باكتئاب :
« يا ابن فيلا مقرب الارباب

اذكر اذكر بشيبتي والداً لك ٭ درك العجز آه مثلي ادرك ٭
رب جار اصابه ببلاء ٍ وهو لا عون ، صد عنه المصابا.

لا جدير في الخلق بالرفق مثلي لا ولا في الورى امرؤ ذل ذلي
هذه الكف أس ٭ بؤسي وخذلي
وبها ابني أضحى قتيلا جديلا وانا قد قبلتها تقبيلا »
فبذا الشيخ هاج مدمع آخيل لذكرى ابيه فيلا اكتئابا.

فبرفق أناه عنه واجرى عبرات سحت على الفور حرّى
فكلا القيمين ناح لذكرى

ذا لهكطور ساجداً لاخيلا وأخيل فطرقل يبكي وفيلا
لبثا ينحبان غمة حتى لهما اهتزت السقوف انتحابا .

شقيقة هكطور تراه اولا ٭ اثر وصوله الى اليون :

ولولت والدموع ملء المآقي ثم جدت تصيح في الاسواق:
«يا رفيقات يا خيار الرفاق

ان تكونوا حييتم هكطورا وهو حي بعوده منصورا
وجذلتم بملتقاه جميعاً فانهضوا رحبوا به ترحابا»

من رثاء اندروماخ لزوجها :

وانبرت اولا ٭ فعم العويل اندروماخ والدموع تسيل
فعلى رأسه ترامت تقول :

«مت بعلاه بالشباب النضير وانا ايم بهذي القصور
وهنا الطفل طفلنا، ونتاج الحزن لن يدركن آه الشبابا

جل عن واجب التأسي اساكا ولقد هد والديك رداكا
انما لي فوق الجميع شجاكا
آه لو فهت لي ببعض الكلام تبسط الكف لي اوان الحمام
لتذكرته نهاري وليلي ودموعي تنصب عمري انصبابا»

من رثاء إيقاب لابنها :

«وأعز البنين هكطورا كم رعتك الارباب حياً قريبا
وهي من بعد فاجعات المنايا بك تعنى تجلة وثوابا»

هيلانة زوج فاريس وأصل الفتنة ترثي هكطور :

«يا احم الاصهار إلف الوداد اعلق الاهل كلهم بفؤادي
لم ار مذ عشرين عاماً بلادي
منذ فاريس مجتبى الخالدينا ساقني قادماً الى اليونا
ليتني قبل ان أفارق شعبي وبني اسرتي انشعبت انشعابا

شأنك الرفق بي لقد كان دوما قط ما سمتني المهانة يوماً
واذا كادني سباباً ولوما
اي صهر او زوجة او شقيقه او حماتي إيقاب تلك الشفيقه

غير فريام من بدا كأبٍ لي كنت رفقاً عني تريح السبابا

سوف ابكيك سوف ابكي شقائي ليس لي راحم والف ولاءِ
قد قلاني الجميع فوق بلائي »
وبكت والجموع ناحت جميعـا ثم فريام صاح فيهم سريعا :
« يا سراة الطرواد قوموا فسيروا واجمعوا وافر الوقود احتطابا .. »

دفن العظام بعد احراق الجثة :

حيث هبت لواهب النيران أخمدوها بصرف خمر الدنانِ
ولفيف الاخوان والخلان
جمعوا كل اعظم الميت جمعا بكئيب الفؤاد يذرون دمعا
اودعوها من ثم حق لجينٍ وكسوه برفيرهم جلبابا .

التعازي في قصر فريام : خاتمة الالياذة .

واذا القبر أكملوا وأتموا صرح ذاك المليك فريام امّوا
حيث حوليه للعزاء انضموا
ولهم هيأ المليك طعامـا كان في مأتم الفقيد ختامـا
ذاك ماكان من مناحة هكطور الذي روض الجياد الصلابا.

# تتمة حوادث الالياذة

بعد ان قدمنا للقراء ، موجز أحداث الالياذة مع منتخب جميل من اناشيدها ، وحيث ان الاناشيد تنتهي بدفن هكطور دون استتمام ما حدث لسائر ابطال هذه الملحمة الفذة ـ رأينا ان نثبت الموجز الذي اعده المعرب ايضاً عن مصير كبار اولئك الابطال الذين خلد هوميروس اسمهم وعظم بطولتهم :

«لما انقضت الموادعة استأنف الفريقان القتال . واذ اعيت الاغريق الحيلة في فتح اليون لجأوا الى خدعة هيأهـــا لهم داهيتهم أوذيس . فصنعوا حصاناً كبيراً من خشب على شكل كبش مما كان يستعمل في الحروب ونصبوه لدى ابواب البلد وفيه الكماة المدججون بالسلاح . ومن جملتهم صاحب الخدعة وذيوميذ ونيفطوليم بن اخيل . وكان قد لحق بقومه في اخريات ايام الحرب وهو بعد صبي . ثم تظاهروا بالسأم والملل والتأهب للانصراف . فانخدع الطرواد وخرجوا فادخلوا الحصان . فلما كان الليل ، خرج منه رجال كمينه وقتلوا الحراس وفتحوا الابواب ، فدخل الاغريق البلد ودمروه ، واستباحوا نهباً ، وقتلا وسبياً ، ولم ينج الا نفر قليل ممن لاذ بالهزيمة .

اما اخيل فقتل قبل فتح البلد بسهم رماه به فاريس فاصابه بعقبه ،

فتنازع اوذيس واياس الكبير على سلاحه ففاز به اوذيس . فغيظ اياس وانتحر كيداً .

واما سائر الزعماء فتفرقوا او عادوا كل الى بلاده ، ولكنهم تجرعوا مضض الاهوال وهلك معظمهم .

فاغاممنون غدرت به زوجه ومعشوقها اغستوس ، وكان قد استعمله اغاممنون على بلاده اثناء غيابه .

واخوه منيلاوس رجع بامرأته هيلانة فوصل بلاده بعد عناء ثمانية اعوام ، ولم يقم طويلاً حتى مات .

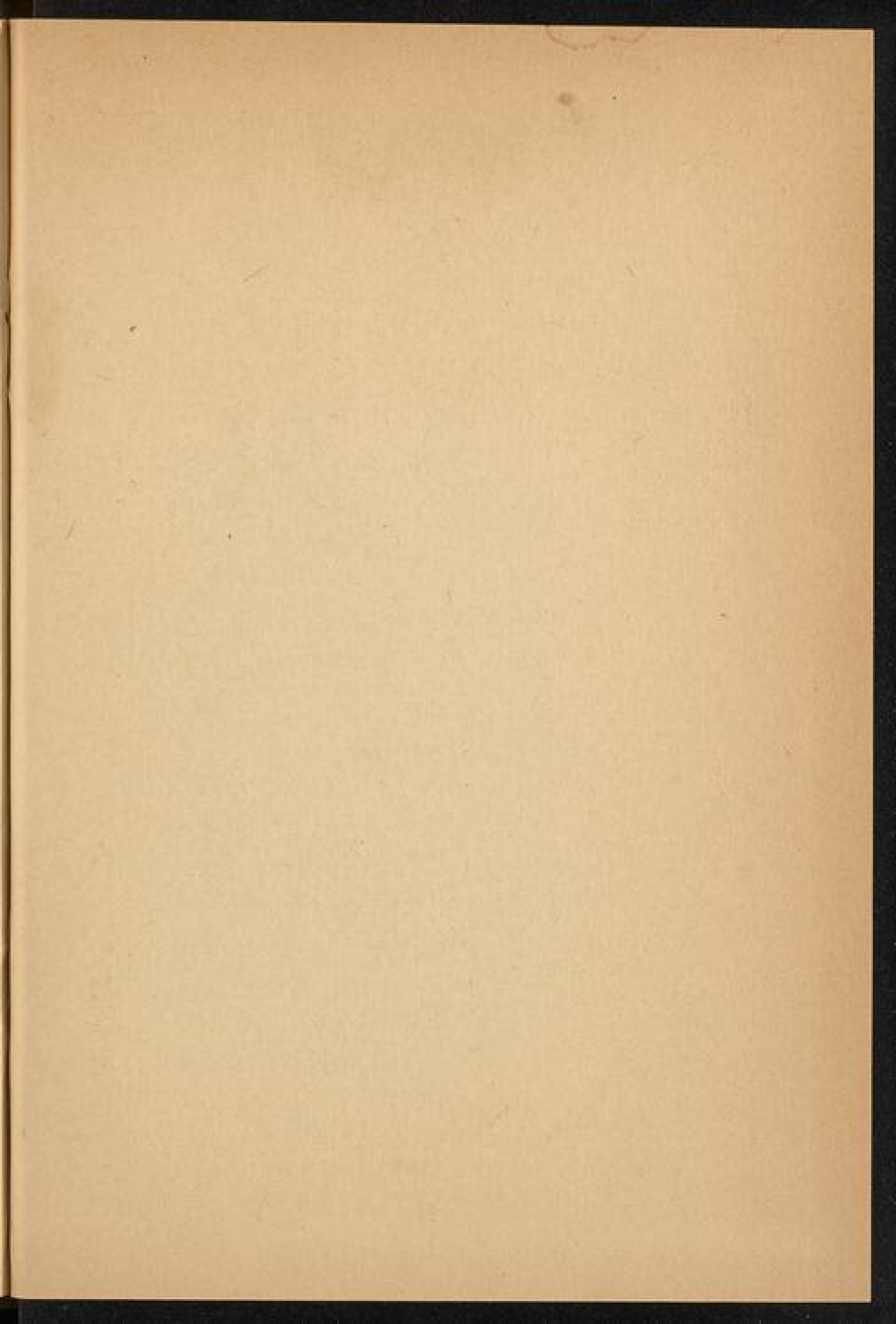
وذيوميذ كاد يصيبه من غدر زوجه ما اصاب اغاممنون لو لم يلجأ الى الفرار . فشخص الى ايطاليا بشرذمة من اتباعه وبنى فيها عدة مدائن . واياس الصغير عصفت الريح بسفائنه وهو راجع بها فاغرقتها . فلاذ الى صخر وقف عليه ، ثم ما لبث الصخر ان انشق تحت قدميه فمات غرقاً .

واوذيس لعبت بسفائنه العواصف فهام عشرة اعوام على وجه المياه في حديث طويل بنى عليه هوميروس منظومتـــه «الاوذيسية». وكانت امرأته بديعة الجمال طاهرة الذيل فطمع بها عظماء قومها فحاولت وطاولت الى ان عاد زوجها فشكت اليه امرها فقتلهم جميعاً . ومات اوذيس قتيلاً بيد ابنه تليغون ، قتله في معركة وهو لا يعلم انه ابوه .

ونسطور عاد الى بلاده سالماً ، فقضى بقية ايامه بأمن وسلام . اما فريام ملك طروادة فذبحه نفيطوليم بن اخيل امام الهيكل بعد فتح إليون. وابنه فاريس مات قتيلاً قبل الفتح. وزوجه إيقاب كانت في سهم اوذيس عند اقتسام السبايا فاسترقها . وابنته كسندرة كانت من سبايا اغاممنون .

وكنته اندروماخ امرأة هكطور ، استأثر بها ابن اخيل وعاد بها الى بلاده وتزوجها ثم طلقها وازوجها هيلينيوس أحد أبناء فريام. واما ابنها استياناس ، فالقى به ابن اخيل عند فتح البلد من شاهق كما كانت تقول متشائمة وهي تندب هكطور .

وهيلانة بقيت مع منيلاوس في اسبارطة الى ان توفي . فاضطرت الى مغادرة البلاد ، فذهبت الى رودس فشنقتها احدى ارامل الابطال الذين هلكوا بحصار اليون. واوفر رجال القومين حظاً واحسنهم منقلباً كان انياس بطل منظومة فرجيليوس . فانه تمكن من الفرار واسس دولة كبيرة . »



## سليمان البستاني



## مقدمة الالياذة

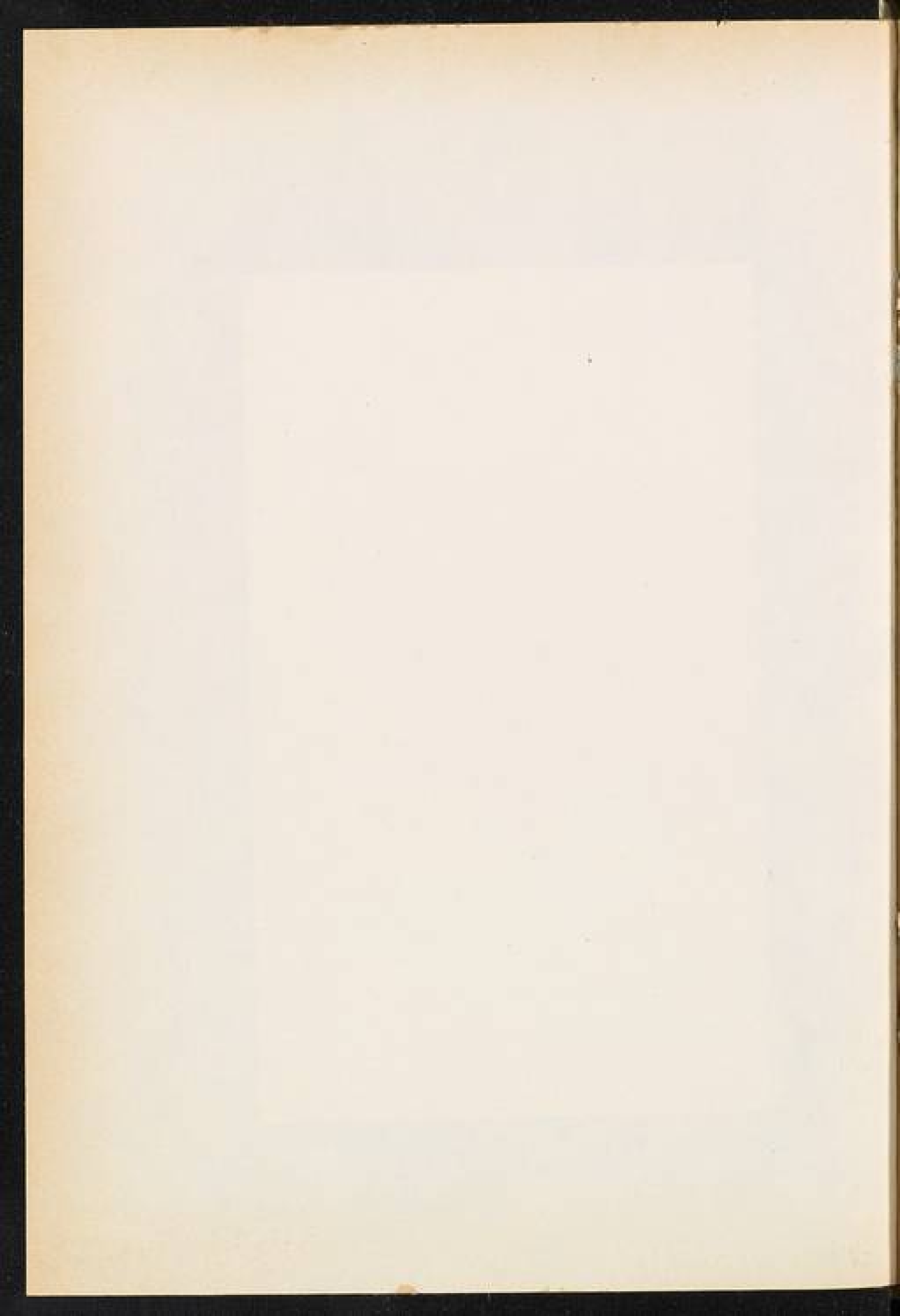
## شرح الالياذة

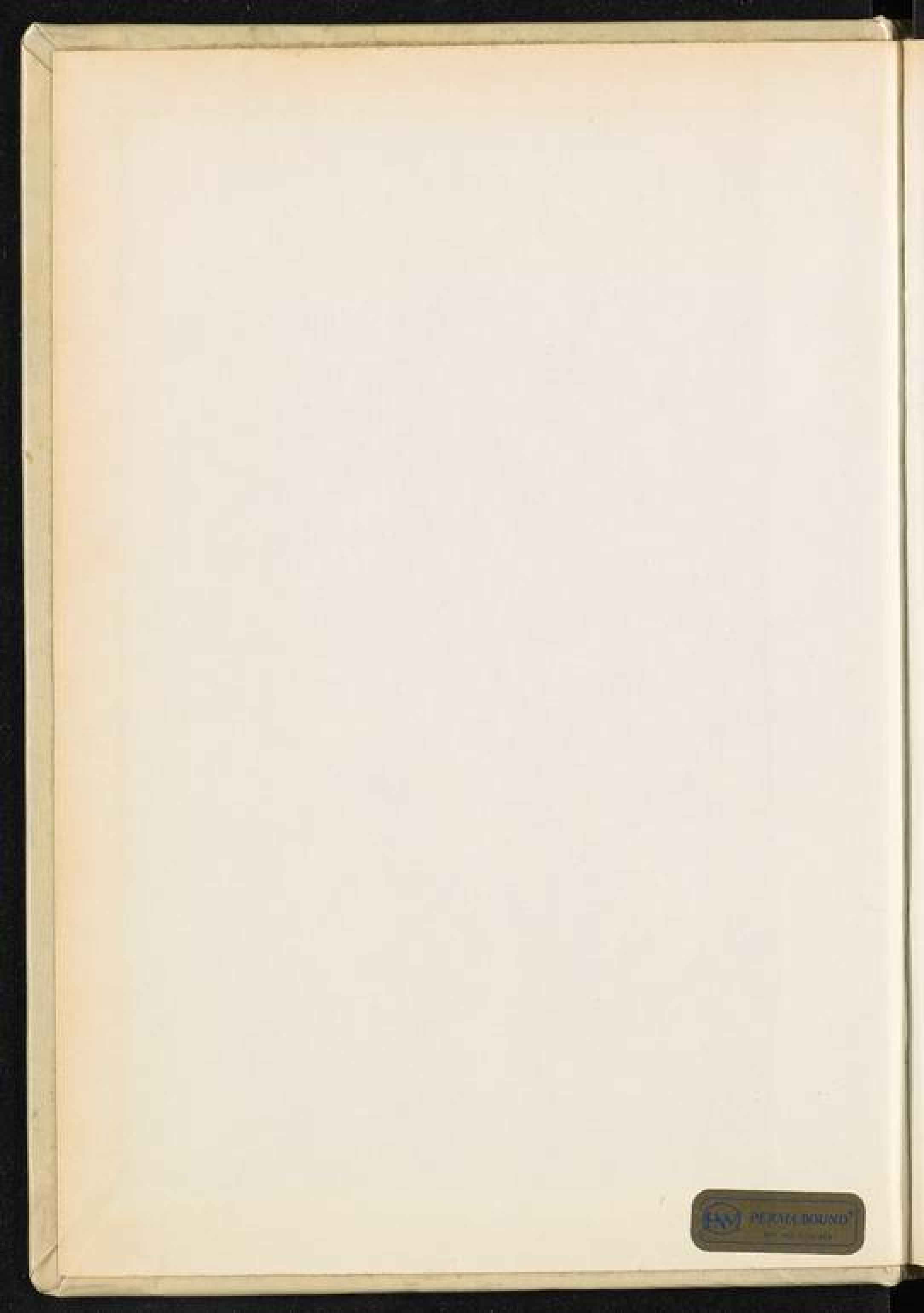


## شاعرية البستاني فى التعريب



## ملخص اناشيد الالياذة





مطبعة الاتحاد